الدكتور / نجيب عازر بسطوروس

الوقت المقبول

الجزآن الأول والثانى

الطبعة الثالثة ٢٠١١

الوقت المقبول

الجزء الاول

الدكتور نجيب عازر بسطوروس

الوقت المقبول

الوقت المقبول

"لأنه يقول فى وقت مقبول سمعت، وفى يوم خلاص اعنتك.
"هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص"

بولس الرسول

أنشودة حياتى

وقف عابر السبيل يهمس فى هزيع الليل الأخير ....
"هأنذا واقف على الباب وأقرع .....
"إن سمع أحد صوتى ، وفتح الباب ...
"أدخل إليه، أتعشى معه، وهو معى ."

فسالته نفسى ، من أنت أيها الطارق الغريب ؟
قال .... أنا وليد المذود ، ربيب الناصرة ، نجار الجليل !
ملك .... بلا مملكة فى العالم !
أنا هو ..... يسوع اسمى ...
وهبت خبزى للجياع ، مائى للعطاش ....
ودمى للغفران !

فناديته ، من الداخل ....
ادخل .... ياملك المجد !
فإنك .... تحت سقفى ، نبيت ....
وفى قلبى .... ستسند رأسك .....
أيها الحبيب !

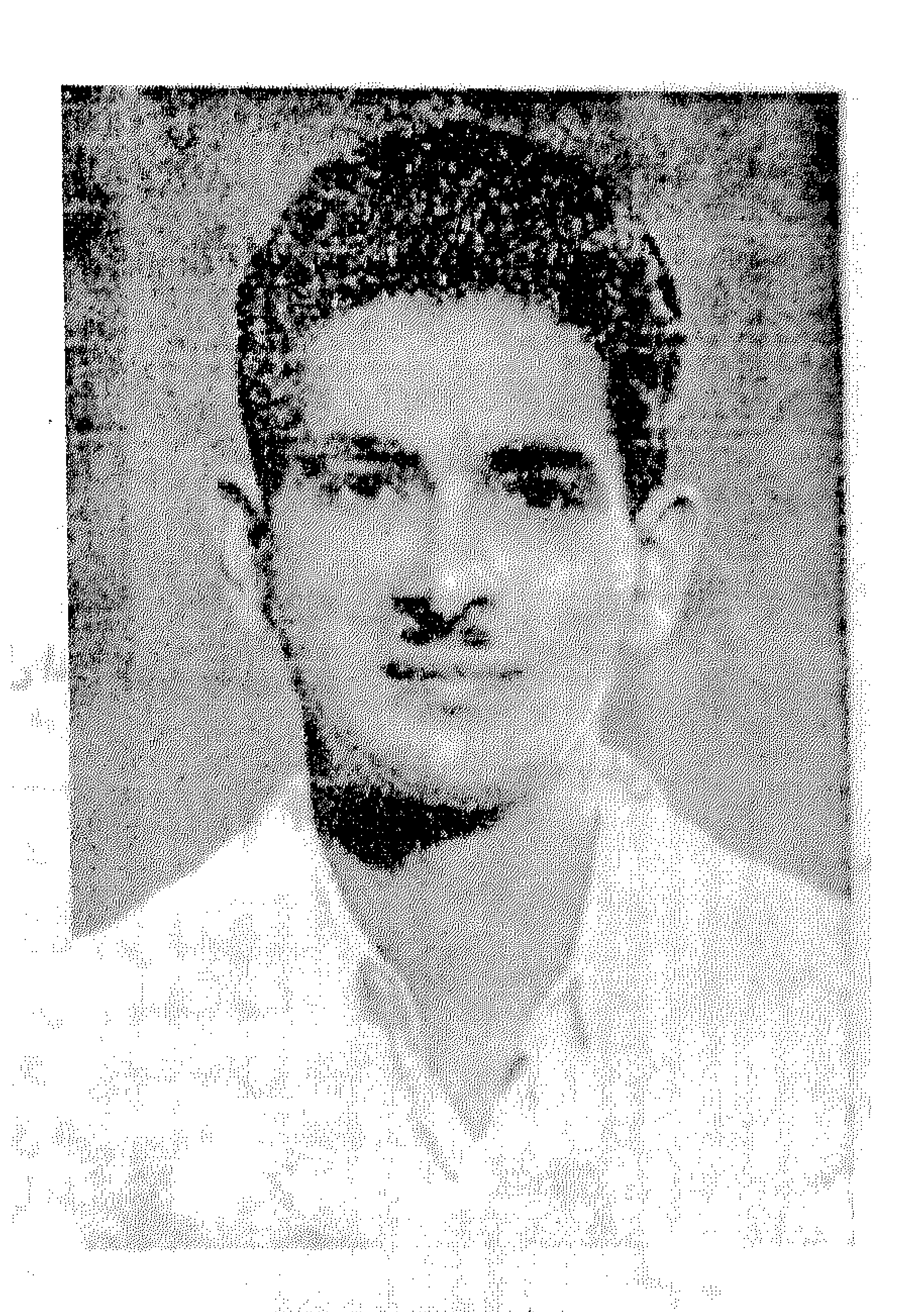
نجيب

الإهداء

إلى اخى العزيز عادل ،

الذى أنا أحبه بالحق .

نجيب



ولد فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٦
ورقد فى الرب ١٠ ديسمبر ١٩٥٧



تقديم

فى فجر يوم الثلاثاء أول كيهك سنة ١٦٧٤ للشهداء ، الموافق ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٧ ميلادية ، انتقل إلى الأمجاد السماوية ، أخى الطبيب الحبيب ، الدكتور نجيب عازر بسطوروس .
وأودعنى قبيل ارتحاله مجموعة تأملاته الروحية ، التى عنونها بنفسه "الوقت المقبول"

وكان قد كتب وصيته بيده ، جاء فيها : "اصلى إليك صلاة واحدة ياإلهى ، لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض ..... امينة هى جراحاتك أيها المحب ، وما يحسن فى عينيك افعل .... أنا ذاهب إلى أحضانك ، إلى منازلك الكثيرة ، المكان الذى هرب منه الحزن .... إلى راحة شعب الله ، مع ربوات القديسين والأبكار .... وإلى بناء الله ، البيت غير المصنوع بالأيادى ......"
".... كنت قد كتبت تأملات روحية كثيرة ، فى ثلاث كراسات ، فاطبعها إن أمكن فى هيئة ملازم أو كتاب . وزعها على كثيرين ... لتكون نوراً وبركة ، سراجاً لأرجل كثيرين ممن يعرفون الرب ويحبونه بسببها .. اختر الجيد منها ، لعلها تخلص قوماً ، فتدخر لى أجراً حسناً فى أورشليم السمائية العروس ......"

وعملاً بوصية أخى المحبوب ، هأنذا واضع بين يديك ، أيها القارئ العزيز ، الجزء الأول من الأمانة التى تسلمتها . وأسأل الله تعالى أن تأتى بثمر كثير ...... آمين

يناير سنة ١٩٥٨

عادل عازر بسطوروس

تقديم الطبعة الثانية

أقدم هذه الطبعة من كتاب "الوقت المقبول" بجزئيه الأول والثانى ، وأرجو القارئ العزيز أن يسامحنى لتأخرى خمسة وعشرين عاما فى تقديم الطبعة الثانية .

مارس ١٩٨٤ عادل

تقديم الطبعة الثالثة

فى فجر يوم ٩ يناير عام ٢٠٠٥ الموافق ١ طوبة عام ١٧٢١ للشهداء انتقل للامجاد السماوية والدى الحبيب الشماس الاستاذ عادل عازر بسطوروس . وكان قد أوصانى وأخوتى إكمال أمانته فى طباعة كتاب الوقت المقبول بجزئيه الاول والثانى وتقديمه إليك أيها القارئ العزيز .

وعملاً بوصيته وبوصية عمى الدكتور نجيب عازر بسطوروس أقدم بالنيابة عن العائلة هذه الطبعة من كتاب الوقت المقبول بجزئيه الاول والثانى أملاً أن تأتى بثمر كثير .

نجيب عادل عازر بسطوروس – ١٢ يوليو ٢٠١٠
عيد إستشهاد القديسين بطرس وبولس (عيد الرسل)

تراتيل الميلاد

"الكلمة صار جسداً وحل بيننا ، ورأينا مجده مجداً ، كما لوحيد من الآب ، مملوءاً نعمة وحقا "
(يوحنا ١- ١٤)

أحمدك أيها الآب ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للجهال والأطفال ! سر التقوى الذى أعددته منذ الدهر ، أن تفعل شيئاً عجيباً فى أعيننا ، تشتهى الملائكة أن تطلع عليه !

أن يظهر الله فى الجسد !

والكلمة الابن الوحيد ، يتخذ لذاته هيئة البشريين ....

مشاركاً إخوته فى اللحم والدم .... (عبرانيين ٢- ١٤)

فهل تميل معى لتنظر هذا المنظر العظيم ؟

إنه " فى جسدى هذا أرى الرب " (أيوب ١٩- ٢٦)

وما اشتهاه الآباء ، القديسون والملوك ، قد أظهر فى ملء الزمان!

فى بيت لحم الصغيرة ، فى ليلة مباركة ....

ليلة الظهور الإلهى !

سر تجسده ، مجده وتواضعه !

محبته للعالم ، وانبثاق عهد جديد بالنعمة والحق ، وسلام القلب وتقديس الضمير ....
ليملك ولا يكون لملكه نهاية ، من مذود بيت لحم العجيب !

إنها ليلة واحدة فى التاريخ ، غيرت التاريخ ، فصارت الأيام تتبعه إلى انقضاء الدهر !
وهذا الإعلان رآه قوم ، ولم يره آخرون ...
فلمن أعلن ؟ ومن أبصره وعاين كلمة الحياة ؟

العذراء الأم ، أم الطهارة والنبل والإيمان ....
المطوبة فى النساء ، على مر الأجيال .
هى الممتلئة نعمة، الحالّ فى أحشائها الروح القدس، وقوة العلى تظللها ..
كل هذا لأن عذراء بارة ، قالت لله يوماً فى طاعة وإيمان ..." ليكن لى كقولك " !
وآمنت أن يتم لها ما قيل من قبل الرب ، حافظة كل الأمور فى قلبها المفتوح لله !

أيها العزيز ... إنه يعلن سره لخائفيه ....
وكل الذين يطلبونه ، ويترجون ظهوره .

ويوسف النجار !
قد آمن ، على خلاف المظنة ، بكلمات الملاك فى حلم الليل ...
فأخذ عذراءه القديسة ، ومضى متجولاً .... (متى ١ - ٢١)
لم يتخل عنها سراً ، بل لازمها جهراً ، نهاراً وليلاً !

أطاع الله أكثر من الناس ، طول أيام حياته ....
وآمن برسالة الملاك ، طارحاً عنه الوساوس والشكوك .
أيها العزيز إنه يعلن ذاته للأبرار ....
وأنقياء القلب ، هم أول من عاينوه ... (متى ٥- ٨)
والرعاة الساهرون !
يحرسون حراسات الليل ، على رعيتهم ....
مثال الخدام الساهرين ، والرعاة المتيقظين ، وحكام الشعوب الأمناء المستعدين .
إنه يظهر نوره وإشراقه ، للمستحقين من الفعلة فى كرمه الكبير .
قد مجد المسيح ، الرعاة الساهرين مقدماً ، كل هذا المجد !
مشيراً إلى نفسه ، إلى خدمته ، على نفس المثال الرائع !
أنه سيكون راعيا صالحاً ، أميناً لشعبه وخرافه .
لا ينعس ولا ينام ، بل يرعى حملانه بعصا الرعاية العظيمة ، وقضيب الاستقامة الملوكى .
وليس فى بشارة الميلاد ، منظر أكثر روعة ورقة ، من رؤيا الرعاة البسطاء.....
ثم سياحتهم فى الطريق ، إلى مذود بيت لحم !
ولم يحدث لقوم فى التاريخ ، سرور وفرح كثير كما لمثلهم ...
وهم على سفر عجيب ، تلك الليلة ، إلى بقعة هادئة مجهولة !

نعم ! لم يحدث فى التاريخ ، أن ظهر ملاك مع جمهور الجند السماوى...
ينشدون ترتيلة مفرحة بهذا المقدار ....
لقوم مجهولين ، لم نعرف أسماءهم حتى اليوم !
إنها لحظة غير طبيعية ... لحظة عابرة !
رؤيا مجيدة ، للحالة التى عليها من هم فى الحياة السمائية ..
ترتيل ربوات ، من ملائكة والقديسين معاً !
وفرح حقيقى لانهائى ، فى السماء ،
أيها العزيز ... كن خادماً مطيعاً ...
أمينا مثمراً ، ساهراً فى تلك الليلة ..
فقد تسمع أذناك صوتاً ملائكياً سعيداً ، أو أجراساً سمائية مطربة ..
وتنظر مجد الرب !
حتى الغرباء ، من الأرض البعيدة !
جاءوا من أقاصى الأرض وراءه ، ليسجدوا ويقدموا العطايا ...
ليس هذا إعلاناً بشرياً ، ولا الزيارة بحكمة بشرية ...
ليست من الناس ، بل من الله !
هوذا أعظم من سليمان ، فى أوج مجده !
ملكة سبأ ، جاءت قديماً لتسمع حكمة سليمان ، فى كل مجده !
وهنا فى المذود المتواضع ، وليد "أدخرت فيه كل كنوز الحكمة"..

وأعظم من سليمان !

جاءوا ليسجدوا له ، أولئك الرجال الحكماء ..

قدموا له العطايا الخالدة ، إشارة لخدمته وخلود رسالته ... (متى ٢-١١)

المسيح للأمم ! المسيح للجميع !

المسيح للغرباء عن رعوية الله !

للحكماء والجهلاء ، للمثقفين والأميين !

للمجوس ، والعبرانيين ، والأمم !

هو رأس الحكمة !

مشتهى الشعوب ، وقبلة الأنظار !

حتى الطبيعة .. كانت معه هناك !

النجم اللامع فى المشرق ، يتجه إليه ...

يتوقف فوق مذوده ، مشيراً أنه الطفل العجيب رئيس السلام (متى ٢- ٩)

وقطيع من الأغنام ، كان أيضاً بين شهود عظمته !

أيها العزيز .. إن الطبيعة تعرفه !

فكل شئ به كان .. أقنوم الله ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ..

النجم يشير إليه ، والرياح والأمواج تطيعانه ..

الأغنام تأنس له .. والوحوش تذللت عند قدميه ، فى البرية ! (مرقس ١-١٣)

من هو المولود ؟

أنت ملك الملوك ، رب الأرباب !   (رؤيا ١٩-١٦)

ملك المجد ..

فاملك ياحبيبى ، وإلهى المتواضع ! .

من مذودك ، مهما تواضع !

تسجد لك الهامات ، وتنسكب أمامك القلوب ..

وتبقى بيت لحم ، حية لا تموت !

ومولودها يملك ، ولا يكون لملكه نهاية !

آمين

عطاء مثالى !

"الحق أقول لكم ،إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر.......
"لأن الجميع من فضلتهم ألقوا، وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها كل ، كل معيشتها"
(مرقس ١٢-٤٤)

وقف صاحب الهيكل بعين فاحصة ، إلى القرابين تلقى فى الخزانة ...
رأى كثيرين يلقون ذهبا ونحاسا وقطعا كثيرة ، فلم يحفل بأمرهم كثيراً......
وفى الصف الأخير . . آخر الكل، فى ذيل القائمة .. عبرت أمرأة هزيلة شاحبة ، مثل قصبة مرضوضة تحركها الريح !
وفى خطوات متعثرة ،منكسرة الجناح ، بيدين مرتعشتين نحيلتين . .
ألقت فى الخزينة شيئا ،قدرا من العطاء حقيرا ،فلسين قيمتها ربع !
ولكن الفلسين المتواضعين ، وصاحبتهما الأرملة ، قد نودى بأمرهما فى العالم أجمع !
تذكارا لما فى الإنسانية من فضائل ، ومثالا رقيقا عن العطاء المسيحى الخالد . .
لمسة مباركة من النعمة والكمال ، فى عمل متواضع . .
خلده المسيح للأرملة المجهولة ... ، خلود الإنجيل المقدس ....
جاعلا منه أساسا واقعيا للصدقة ، كما وعظها للجموع على الجبل .

رأت عيناه الفاحصتان الفلسين والأرملة ، فشبعت نفسه .. دخل السرور إلى قلبه الكبير ، وارتسم على وجهه الابتسام . عطاء مثالى فى كميته ، وفى غايته ! مثالى فى كيفيته ، وفى نهايته !

* * *

فهو مثالى فى كميته . . وستقول مع القائلين إنهما فلسان !
ولكن المسيح قال " إنهما معيشتها كلها "!
هذه امرأة مهجورة، أرملة، بلا رجاء، بلا عائل أو معين . .
لا تقتنى ، ولا تجمع فى موائد الصيارفة . .
لا تنتقل بالتخمة ، ولا تتنعم فى الأرجوان . .
لا تفكر فى الرصيد ، وما يحمله الغد المجهول .
إن الفلسين هما معيشتها فى ذلك اليوم! إنها أعوازها و وفور فقرها !
فمن من الموسرين ... ومن متوسطى الحال، أعطى مثلما أعطت ؟
ليس بينهم أو بيننا .... من يعطى أكثر من عُشر أمواله دفعة واحدة ...
إلا ويقال عنه إنه أسرف فى العطاء إسرافاً، يكال له المدح من أجله! !
أما هذه فألقت كل معيشتها ، بدون قيد أو شرط .
ألقتها بسرور ورضا ، ليس عن اضطرار، بل بالقبول والاختيار الكامل.
فقياس المسيح النسبى ، جاء فى صفها تماماً " ألقت أكثر منهم جميعاً"..

من فقرها المعوز ، فاض وفور غناها العميق ، لينسكب على الملايين الذين طالعوا قصتها ، وسمعوا عبارات تطويب المسيح إياها ...

والعطاء مثالى فى غايته ...

فإنه يوجد قوم يعطون ليأخذوا ...

وأسباب العطاء كثيرة ، قد يكون فيها ما هو نبيل ، وما هو غير نبيل .

ولكن هذه أعطت بسخاء كل معيشتها ، لأجل الفقراء ....

وهى أفقرهم ! !

إنها تعطى لأجل الأرملة واليتيم ، لأنها تحس إحساساً عميقاً بالترمل واليتم، وفقدان الأعزاء والمعينين ...

وتجزل بجهد ، للفقير والمسكين ، والجائع والعارى ...

والفقراء يمتلكون حاسة العطف والإدراك الكامل ، نحو الفقير والمكروب!

إنها حساسية مشتركة مرهفة ، لا يحسها حقاً إلا الذين عانوا معنى الفقر والعوز ، واليأس والترمل ...

انظروا جيداً ... أما اختار الله فقراء العالم أغنياء فى الإيمان ؟ أغنياء فى العطف والحنان !

قد يعطى واحد أحياناً فى خزائن العطاء ، وإنما من " مال الظلم " ، فيعود لأصحابه ، الذين حرموا منه .

إلى المظلومين ، من أمثال لعازر المنبوذ على أبواب الغنى ....

الصارخين للسماء ، ليلاً ونهاراً ...
أما هذه الأرملة ، فأعطت من مال المعيشة الشريف الطاهر .
وهبته بالسرور العميق ، للذين يعانون نفس آلام هذه الصديقة الفيلسوفة!

* * *

والعطاء مثالى فى كيفيته ! !
فهى تقف آخر الصف الطويل ، فى تواضع ، مجهولة من الناس ومعروفة لدى الله
إنها لا تريد مجداً من الناس ، وترفض الشكر من أحد ...
تنكر ذاتها واسمها وشخصها ، ولا تعرف اليمين ما تفعله بيسارها !

* * *

والعطاء مثالى فى نهايته !
إنها تؤمن بالمجازاه ، فهل آمن الآخرون بالمجازاه ؟
إنهم يعطون فينالون ، يدفعون فيأخذون ...
هذا يأخذ المجد من الناس ، وذاك يكسب التحية الأولى، والمتكأ الأول، والاسم الأول!
إنهم يستوفون أجرهم ... هنا !
يعطون على سبيل دين ، ليستردوه ...
وإذا كان العطاء ديناً فليس بعده نعمة ، وحيث لا توجد نعمة فليست هناك مجازاه !

هى آمنت وتؤمن بالمجازاه ...
تؤمن بالكيل الفائض المهزوز ، وبالكنز السماوى ...
الميراث الذى لا يضمحل ، حيث لا ينقب اللصوص ، ولا يأتى السوس والصدأ والفساد ...
تؤمن بكأس الماء البارد ، وكسرة الخبز الجافة ، وكل عمل الخير فى اسمه ، والوعد الحق .
إن أجركم عظيم فى السموات ...
أما هنا – فليست مجازاه !
قد يقول الناس فيكم حسناً فتخسرون الجعالة العليا ...
احذروا الاهتمام بمجازاة بشرية ، تدخل الغرور فى القلب ...
واذكروا القول العجيب "أبوكم الذى يرى فى الخفاء، هو يجزيكم علانية"...
مثلما جازى هذه الأرملة الحكيمة ، نعم الجزاء .

آمين

تلميذ الصليب

"من أراد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى" "مرقس ٨: ٣٤ "

إعلان التلمذه الصحيحة الصريحة .

حروف كبيرة المعنى ، بالغة الأثر ، لمن أرادوا أن يصيروا تلاميذه وأتباعه.

وهى مازالت على قوتها وفاعليتها الأولى ، فى النفوس التى تتعلق به ....

كما كانت تماماً ، يوم ألقاها على مسامعهم قديماً !

كل شئ فى العالم يتغير ، إلا عباراته ...

لم يسقط حرف واحد منها ، حتى هذه الساعة ..

إن الأسماء المسيحية ، لا تجدى أصحابها !.

والمسيحية ، ليست فكرة بيولوجية وراثية !

فالتلمذة تحتاج إلى شروط واجبة ، لابد من توفرها لتصبح مسيحيتنا إيجابية ، حية عاملة ...

ويسوع يعلن إعلاناً داوياً ، إن من أراد أن يسير وراءه .

فلينكر نفسه ويحمل الصليب ، ثم يسير !

وليس بأقل من هذه ، تكونون تلاميذى !

إن كنت ستتبعه ، لأنه صانع آيات وخيرات كثيرة !

إن كنت ستتبعه ، لتأخذ من عطايا وهبات ...

فهذا أضعف الإيمان ، فيه احتمال الفشل كبير .
ومن تبعوه قديماً ، أكلوا من الخبز والسمكات وشبعوا ...
ثم لم يعودوا يمشون وراءه ، لأن كلامه صعب ، ووصاياه كثيرة !
وبعد الصليب لم يبق وراءه من الجماهير التى تبعته فى أيامه الأولى..
سوى مائة وعشرين اسماً فى العلية !
أولئك كانوا بالحقيقة تلاميذه ، تلاميذ الصليب !

* * *

لينكر التلميذ نفسه أولاً ! فليس التلميذ بأفضل من سيده ومعلمه...
تعلم أيها العزيز كيف تنكر ذاتك ، وتهلكها لأجله !
تعلم منه ، ابن الله الحبيب ، الابن الوحيد ...
يترك المجد الأسنى ، والنور الذى لا يدنى منه ...
يلبس جسد التواضع ، صائراً فى شبه الناس ...
آخذا صورة العبد ، قابلا عطايا البشر ومساكن المتمردين ...
وليس له ، أين يسند رأسه المتعبة !

فماذا أنت فاعل بنفسك — لأجله ؟
هل تستطيع أن تنكر ذاتك بعض الشئ من أجله والإنجيل ؟
هل تستطيع أن تضع أموالك تحت قدميه ؟

وتتخلى عن كرامتك ، وغرورك ، وعلمك ، وذكائك ... لأجله !
إنه يريدك أن تقول مع الرسول أن لستم لأنفسكم ، بل للذى مات لأجلكم وقام !

هل تحمل الصليب خلفه ؟

هذه هى المرة الأولى التى نطق فيها يسوع بكلمة الصليب ، جهاراً بين جمهور التلاميذ .

ولا شك أنهم أصيبوا بالذهول والمرارة والدهشة ، وهم يسمعون عبارة الصليب على شفتيه !

ففى تلك الأيام ، كان الصليب شيئاً فظيعاً ...
بالنسبة لليهودى لعنة ، وبالنسبة للرومانى عاراً للازدراء .
ولكنه قالها صراحة ، إن تلاميذى بالحق تلاميذ الصليب !

أيها العزيز: كان الصليب بالنسبة إليه كل شئ ...
إكليله وعرشه !
كرسى مجده ورئاسته !
عاره وهوانه ، بل فخره وجلاله !
أعظم علامة فى التاريخ ، وأمجد خدمة فى الوجود !

فماذا أنت فاعل بالصليب فى حياتك ، أيها التلميذ الصغير ؟
إنه ضرورة موضوعة لأتباعة ، رمز للمجاهدة الخُلقية وآلام الأيام ..

موضوع على كتفيك ، لتحمله بالرضا والطاعة والقبول ..
وحينما يبدو ثقيل الحمل ، يتقدم ليحمله عنك – إلى جوارك !
مثلما تقاسم سمعان القيراونى الصليب ، مع الرب !

* * *

والصليب نير ثقيل ، قرعتك فى الخدمة ...
هو يعده لك ، كما يعد لك الأكليل الأخير ...
وكلما ازدادت ضيقتك ، ثقل مجدك !
فلا تخر أو تحتج أو تتراجع ..
بل تعلم الطاعة كجندى صالح ، لترضى من جندك ....
فى وثق وشدائد ، فى ضيقات وقتية أو طويلة ...
فى مرض ، فى عوز ، فى اضطهاد وتعيير ...
فى وحدة قاسية ، فى فقدان الأحباء ...
فى هذه جميعها – احمل صليبك وامش !
ثم اتبعه .. خطوة خطوة ، فى الطريق .. إلى حياة الأبد !
تجرح الأحجار أقدامك المتعبة ، المبشرة بالسلام ...
تجوز المياه إلى نفسك الرقيقة ، تسقط على الأرض ، لتنهض وتقوم...
هى السياحة الشاقة الطويلة .. أتبعك يايسوع حيثما تمضى .
فإلى أين نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك !

تعال واتبعنى !

أرق دعوة ، وأعمق استجابة ...

مازال صداها الأول يُسمع إلى هذه الساعة ، أكثر وضوحاً ، وأرخم فى نبراته ...

من دعوات كثيرة صاخبة ، إلى الانحلال والتحرر واللذات العابرة !

وما كان لى ربحاً ، فهذا حسبته لأجل المسيح خسارة "فيلبى ٣-٧".

أما الذين تبعوه — فقد التصقت نفوسهم به ...

وتعلقوا بأهداب ثوبه ، إلى النفس الأخير ...

لا تنظر إلى الوراء ، بل انس ما هو وراء !

لا تعد تذكر سدوم وعمورة ، بل اهرب لحياتك من كأس الغضب .

وهو يهيئ لك السلام العميق ، واختبار راحة نفسية دائمة فيحيل الألم بأنامله ، إلى أنشودة جديدة !

كما فعل ليلة البستان ، وفوق خشبة الصليب !

آمين

الراعى الصالح

"والخراف تتبعه ، لأنها تعرف صوته " (يوحنا ١٠ - ٤)

هذه الآيات ، تفيض رقة وعذوبة ....

من أرق ما تكلمته شفتاه الطاهرتان !

أنشودة الراعى الصالح ، وعذوبة الرعاية المسيحية .

الخراف الضالة ، جاء إليها راعى الخراف العظيم !

ليقودها من حظيرة الناموس ، إلى مراعى النعمة ...

ومن عبودية الحرف ، إلى حرية الروح ...

وفتح له البواب ، ليدخل ...

من هو البواب الساهر الأمين ؟

الذى يميز بين الراعى الحقيقى ، وبين السارقين والأجراء !

قد أغلق ، فى وجه الكتبة والكهنة والفريسين المرائين ...

ولكنه عرف الراعى الصالح ، ورأى روح الرعاية نازلا عليه من السماء ، مثل حمامة بيضاء !

ففتح باب الحظيرة وأوقد سراجه ، ومنطق حقويه ...

إنه يوحنا المعمدان ، البواب الأمين !

الملاك الحارس ، والصوت الصارخ ..

يفتح أبواب البر بسرور ، ليدخل ملك المجد ..
قدوس الله ، ورئيس الرعاة العظيم !

جاء يسوع أولاً ، إلى خاصته ...
يدعو خرافه بأسمائها ، نطق بها رغم أنها لم تعرفه !
بطرس ومن معه ، من السفينة ..
نثنائيل من تحت التينة ، ومتى من مكان الجباية ...
شاول من تحت أقدام غمالائيل الفريسى ، وزكا من على الجميزة ..
السامرية من البئر ، واللص اليمين من الصليب !
عرفها الراعى ، ميزها ، ودعاها وأخرجها ..
أسماء مكتوبة فى السموات ، وقطيع موهوب الملكوت ...
أخرجها من الحظيرة العتيقة ، التى بناموس موسى ...
وذهب أمامها فى طريق جديدة ، رسمها بنفسه للعهد الجديد ...
بالنعمة ، والحق ، والمحبة الفائقة !
ليس غريباً أو أجيراً ، لم يتخل عنها لحظة ...
بل مكانه الدائم فى الرعاية ، أمامها ... والخراف تعرف صوته وتتبعه !
والذين تبعوه ، هم كنيسته ...
كنيسة الأبكار والمفدين ، المحبوبين القديسين ...

نحن نتبعه فى الطريق ، إلى الحياة الأفضل ..
سائرين فى خطواته ، وآثار أقدامه المباركة تهدينا ..
لا تتبدد رعيته أو تضيع ، فإن آثاره فى الأرض واضحة ، إلى المراعى الخضراء .

هو يقودك لمياه الراحة ، وموارد النعمة ...
يحيد عن الشر ، والمسالك غير المستقيمة ...
يحميك فى فخ الصياد ، ويفديك من الحفرة ...
يهديك إلى سبل البر .
فسر وراءه حيثما يمضى !
رئيس كهنة عظيم ، يرثى لرعيته ، أميناً ورحيماً فيما لله ..
لا تخف أيها القطيع الصغير !
إنما اجعله أمامك ، فى كل لحظة من العمر ...
فهو يقف حائلا بين الآلام والشدائد ، وبينك ..
وإن ضل واحد من قطيعه ، عن طاعته ، فإنه يترضض وتجرح الأشواك قدميه...
إلى أن يجده راعيه الصالح ، فيقبله فرحاً ، ويحمله على منكبيه ويعود .
والخراف تسمع صوته ، صوت الوداعة والرقة ...
يقول اتبعنى ، أجمل دعوة سمعت فى الأرض ...
لا يدعو للقوة أو العنف ، كما ينادى طغاة العالم ...

وخدامه ، لا يجاهدون بالسيف من أجله !

لا يرتفع بالمتعة ، وإشباع الحواس ، وسرور مصطنع ...

لكنه الصوت الهادئ والهمس الرقيق ، أن تتبعه لملكوته .

فأصغ للهمس الوديع الهادئ ..

بواحدة يتكلم ، وباثنين لا يلاحظ الإنسان !

فى حلم وفى يقظة ، فى رؤيا الليل .. أنت تسمعه ..

إننى أترك كل شئ ، وأتبعك ، يامسيحى الصالح .

وهو يحمى خرافه ، حماية أكيدة ...

لا يخطفها أحد من يده ، والذين أعطيهم من الآب ، ولم يضيع منهم أحداً...

وكما حمى تلاميذه فى البستان ، فإن شعرة من رءوسكم لا تهلك !

آمنوا بهذا الوعد وصدقوه ، لأن الذى وعد هو أمين .

قد تضل شارداً ، وتختبر أعمالاً رديئة ..

قد تقتل وتيأس ، وتنطرح مماتاً طول النهار !

ولكنك فى النهاية ، تشعر أنك فى حماية أمينة ..

وتتكئ على صدر رحيم ، فإنه لا ينعس حافظك وراعيك .

وها هى أجمل صفاته ، إنه بذل حياته عن خرافه !

ختم أمانته بدمه ، وتذوق الموت بالجسد ، لأجل كل واحد ...

من أجل الشيخ الطاعن ، والطفل الرضيع ..

من أجل كل دم من الناس ، الأحرار والعبيد ..
من أجل الجميع قد بذل ذاته ، برضا وسرور !
هو سفك نفسه ، من أجل شعب الله ..
كى يرى نسلاً ، تطول أيامه ...
ويكثر عدده كرمل البحر ، ونجوم السماء .
لذلك مسحك الله بزيت الابتهاج ، كاهناً وراعياً ومدبراً أبدياً .
لك المجد ، إلى دهر الداهرين .

آمين

الريح المضادة !

"ورآهم معذبين فى الجذف ، لأن الريح كانت ضدهم" (مرقس ٦ — ٤٨)
" أنا هو ، لا تخافوا " (مرقس ٦ — ٥٠)

السفينة وحدها فى وسط المياه ...
والوقت مساء ، وظلمة ..
والريح كانت ضدهم !
صورة ترسمها ريشة الإنجيلى ، الروحية المعبرة ..
لم تنزعها السنوات الطويلة من الأذهان التى اختبرتها ، فى أيام تجسد الرب الأولى..
شهادة عيان ، من الذين كانوا معاينين الكلمة منذ البداية .
كان الرب يسوع قد شعر أن القلوب غليظة ، والرقاب صلبة ، والأفكار غبية ، والطبيعة مازالت بشرية أرضية !
لأنهم لم يفهموا بالأرغفة والسمكتين (مرقس ٦ — ٥٢) ، سوى أنهم جلسوا للأكل والشرب! !
أكلوا من الخبز وشبعوا .. (يوحنا ٦ — ٢٦)
وبقى الإيمان ضعيفاً ، والروح خائراً !

وخدمة يسوع قصد منها أولاً وأخيراً ، أن تتجه القلوب والحواس إليه...
ليستأسر كل عاطفة إلى طاعته ، وكل عين إلى معرفته ، وكل لسان إلى اسمه.
فالمعجزة وسيلتها الخبز البائد .. وغايتها الخبز السماوى !
أما الجموع والتلاميذ فقد أكلوا من الخبز وشبعوا ..
وبقيت القلوب فارغة من الإيمان العميق ، والنفوس جائعة إلى الخبز الحقيقى ..
فأدخلهم السفينة ، وأمرهم أن يجذفوا فى وسط المياه .
وفى قلبه تعليم جديد ، واختبار آخر أكثر اقتداراً ، وأعمق أثراً من الخبزات والسمكتين !
يرفعهم من العيان إلى الإيمان ..
من الخبز الأرضى إلى خبز السماء ، ومن ضعف الحواس إلى طاعة التسليم واليقين ..
سلبهم أفكارهم وقوتهم ، وجردهم من ذواتهم ، ليظهر لهم ذاته ..
وليملأ باسمه وسلطانه ونوره ، كل فراغ فى سفينتهم وفى أفكارهم وقلوبهم!
وشقت سفينة الصيد طريقها ، فى مياه البحيرة ..
وهم قد اختبروا مياها وأعماقها ، طوال السنوات الكثيرة ،فى ممارسة حرفة الصيد.
وفجأة تغير كل شئ !
هبت ريح صاخبة ، وأعصار ردئ مفاجئ ..
وتعذبت السفينة الصغيرة فى وسط أمواج متلاحقة ..

وكافحت السواعد لأجل الحياة ، ببسالة وقوة ..
جذفوا بعزم وشدة ، كى لا ينال منهم الظلام ، أو الأمواج العاتية .
وفى النهاية خارت القوى البشرية ، وأنهكت العزائم المصممة ..
وصاروا معذبين من الجذف اليائس بلا أمل ..
"فإن الريح كانت ضدهم" ! (مرقس٦ – ٤٨) .

* * *

آه أيها العزيز ! إنها صورة الحياة واختباراتها ..
صورة الإشفاق !
هذه السفينة الصغيرة هى نفسك ، هى حياتك .
واختبارات تلك الليلة الصعبة ، هى اختباراتك ..
هى تجربتك .. قصتك وذاتك !
فالعالم وما فيه ، بحر كبير ومحيط واسع ...
وأنت صياد صغير متواضع ، تقود السفينة فى المياه ...
مسئول عن سياحة النفس ، فى محيط العالم !

أيها العزيز المعذب ، ذو الحمل الثقيل ..
كل القوى تعمل ضدك .. وكل العوامل المواتية تتخلى عنك !
الأيام الشريرة ، والساعات السوداء الحالكة ..

تبلل وجهك بدموعك ، وأنت ساهر ..
تصير رأسك مياها ، وعيونك ينابيع ..
تذبل أجفانك المسهدة ، من التعب والارق والحزن !
من منا لم يواجه هذا الاختبار فى حياته ؟

إن سحائب ليل مظلم ، تجتاز حياة الملايين ولا ترحم !
إن ظن أحد أنه بعيد عنها فى أمان ، فليدرك أنها ضرورة موضوعة ..
فالتجارب حتماً مقبلة ، إقبال المخاض للمرأة الحبلى .
وحينما يقولون سلام سلام ، يأكلون ويشربون ويلعبون ..
تأتى الساعة بغتة ، كسارق فى الليل !

وتبدأ العاصفة فى أسوأ الظروف ، فالمياه عاتية ..
ثم تأخذ الريح أيضاً تعمل ضدك ، بعد أن كانت معك ..
فماذا أنت فاعل بهذا الاختبار المرير ، أن تشعر والحسرة فى أعماقك بهذا الإحساس "أن الريح ضدك" ؟

شعر موسى بهذا الشعور ، وهوهارب من وجه فرعون ..
وشعر به يوسف ، وهو طريح السجن والهوان ...

وشعر به إيليا حينما صارح الله: قتلوا أنبيائك ، وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى !

شعر به أرميا و وهو يرى الخراب فوق عاصمته المقدسة ، لا يستطيع أن يمنعه ..

وشعر به أيوب ، وهو يرى المصائب تنصب على كاهله بلا هوادة ..

مولوداً لهذا ، كما أن الجوارح لارتفاع الجناح ! (أيوب ٥-٧) .

وشعر به الرب يسوع ، حينما واجه ساعة الظلمة ..

وشرب الكأس وحيداً ، وسط الأردياء والكذبة وفاعلى الشر .

يسقط فى يدك ، وتطرق فى استسلام ..

ألا تشعر كثيراً ، أن الريح ضدك ؟

ولماذا تسمح يارب ، أن تعذب السفينة بالريح المضادة ، والزوبعة العكسية ؟

هم تعبوا الليل كله مجذفين بالسواعد ، إلى أن خاروا من التعب واليأس ..

فافعل ما يحلو لك ، استخدم كل الإمكانيات البشرية .

ذكاؤك ومهارتك وخبرتك ، الحكمة والمشورة من ذوى المشورة ..

والقوة من ساعديك ، وسواعد الآخرين ..

وفى النهاية — تصرخ من اليأس والفزع ، إذ تدنو السفينة من الغرق ..

وتكتنسح الأمواج والمياه نفسك الرقيقة ، وتبقى الريح ضدك لا تتحول ..

باطل الأباطيل ! تعب البنائين وسهر الحراس ، وجذف الصيادين ..

الآن عرفت مقاصد المسيح الاساسية !
ينزع عنك حب الذات ، لتحبه هو فتحيا ..
وينزع عنك أنانيتك وغرورك ، لتؤمن به فتخلص ..
يسمح أن يموت لعازر ، لترى فيه القيامة والحياة !
ويسمح أن يولد رجل أعمى ، لترى فيه نور العالم !
ويسمح أن يتشرد القطيع الصغير ، ليعرفه "الراعى الصالح" .

كل هذه الزوابع العاصفة ، والآلام التى تجرى على الأخوة فى العالم أجمع ،
تعزل النفس البشرية عن كل الإمكانيات ..
إلى أن تجثو أمامه ، مثلما سقط التلاميذ فى السفينة على وجوههم ...
فتقول فى تواضع وطاعة وإيمان رائع ، هذا القول المشهور ...
صلاة صياد متواضع ، طوال أربعين عاماً ..
"يارب سفينتى صغيرة – وبحرك كبير !
فامكث معى ياسيدى "

وهذا ما حدث للسفينة الصغيرة ، تلك الليلة ..
ففى الهزيع الرابع الأخير ، عبر مُمجداً على وجه المياه !
نهاية حتمية للانتظار ، حينما تعلن الرؤيا ..
فالمحبة تستجيب أخيراً .

تإنه يرى كل شئ ، وعيناه تنظران آلامك وشدتك ..
لا ينعس ولا ينام ، يمهل ولا يهمل ، يتأنى ولا ينسى ..
وفى الوقت المقبول تعبر أذياله ، وتبدو صورته ، ورسم جوهره المجيد .
يمسك دموعه ، حتى يضرب ملاك الموت حبيبه لعلزر ...
ويمسك موعه ، حتى تمضى ثمانية وثلاثون عاماً على الرجل المطروح إلى جوار البركة !

يمسك دموعه على الشيخ ، الذى ولد أعمى من بطن أمه ! .
ويمسك دموعه ، حتى يمضى يوسف فى عبوديته أعواماً طويلة ...
ويمسك نفسه ، حتى الهزيع الرابع من الليل ..
ثم يعبر على وجه المياه !

قد يتقوس الظهر ، ويشيب الشعر ..
وتظلم العينان ، ويضعف القلب ، ويذبل العمر ..
ثق فقط ، وانتظر الله كحسب إيمانك .
سيعبر ، حتى وأنت على حافة القبر ، فيخلصك خلاصاً أبدياً ..

مثلما عبر على اللص اليمين ، وهو فى أنفاسه الأخيرة !

وفى عبورة يحمل الخيرات العديدة ، الزمنية والابدية ..

أكثر كثيراً مما نطلب ، أو نفتكر ! (أفسس ٣-٢٠)
يقود السفينة الغارقة إلى ميناء السلام ،
فتهدأ الرياح ، وتبكم الأمواج ..
وتنتقل من غضب الإنسان ، إلى راحة الله !
ثقوا ، آنا هو ، معكم كل الأيام .
ابن الله الحى ، كلمة الحياة ، مشتهى الأمم ، صانع الأزمنة ! .
القيامة والحياة ، الطريق ، النور ، الراعى ..
ملك الملوك ، وليس لملكه نهاية !

وعند بر السلامة ، سجدوا له ..
كما نسجد له نحن أيضاً ، ونقبل قدميه ..
هنا وسط آلام الزمان الحاضر ، وهناك فى الموضع الذى هرب منه الحزن والدموع.
فمن اليوم — كفوا عن الإنسان الذى فى أنفه نسمة !
تخل عن الذراع البشرية ، عن الكبرياء و والثقة الكاذبة ..
أما الذين يتألمون بحسب مشيئة الله ..
فليستودعوا ذواتهم كما لخالق أمين فى عمل الخير (١ بطرس ٤ – ١٩) .

آمين

الخادم الأمين

" ينبغى أن ذاك يزيد ، وأنى أنا أنقص " (يوحنا ٣ – ٣٠)

لم يمدح المسيح إنساناً ، مثلما مدح المعمدان ..
ولم يطوب خادماً ، بالقدر الذى ناله المعمدان ..
أعظم المولودين من النساء ! (لوقا ٧ – ٢٨)
أعظم من نبى ! ، لوقا ٧ – ٢٦)
ملاك ، صوت صارخ ، سراج توقد !
يبشر الملاك أباه ، فيقول فيه .. (لوقا ١: ١٥ – ١٧)
عظيم هو أمام الرب ، وفيه تسكن روح إيليا وقوته !

ومع كل هذا المجد ، والامتياز العظيم ..
وقف المعمدان ، منادياً بصوته الصارخ ..
ينبغى أن أنقص وأتضع ، وذاك يزيد ويرتفع !
لست أهلاً أن أنحنى ، وأحل سيور حذائه !

أنا أرضى ، وذاك سماوى ..

أنا معمودية المياه ، وذاك معموديته ألسنة نار !
لست النبى ، لست إيليا ، ولا المسيح ..
بل صوت صارخ فى بريتى ، أمام حمل الله رافع خطية العالم .

إننى أنقص ، وهذا يزيد ..
أتواضع ليرتفع ، وأفتقر ليستغنى !
سراجى يتلاشى ويخبو ، ليضئ نوره وإشراقه ..
صوتى يخفت ويختفى ، ليسمع صوته هو إلى أقاصى المسكونة !

هذا ختم الخادم المخلص ، الخادم الحقيقى لشعب الله !
يكرز باسمه رباً ومخلصاً ، وبنفسه عبداً وخادماً ..
فكل كلمة فى الأرض يزول خادمها ، ويبقى ربها وملكها ..

يوحنا المعمدان قال إنه ينقص ..
وبولس يقول " لست مستحقاً أن أدعى رسولا " ! (١ - كورنثوس ١٥ - ٩)
" الخطاة ، الذين أولهم أنا " ! (١ كورنثوس ١٥ - ٨)

فنحن إذن آنية خزفية ..
وأرغفة شعير متواضعة و فى خدمة رب المجد !
وكلما تعمق الخادم الأمين ، فى حياة الإيمان ...

صغرت نفسه فى عينيه ، وتضاءلت كبرياؤه ..
يهلك ذاته ، من أجل الله ..
وينكر نفسه ، من أجله والإنجيل (مرقس ٨ – ٣٥) .
أما الخادم الزائف ، أو الحكيم الجاهل !
فيبرر ذاته ، ويشبع غروره الباطل ..
يظن أنه شئ !
يقول مع الفريسى " أنا أصوم وأصلى وأعشر كل أموالى ...
ولست مثل سائر الناس البطالين " (لوقا ١٨ – ١١)
يطلب التحية فى المجامع ، والمتكآت الأولى ..
يشبع نفسه بمجد الناس ، وثنائهم ..
فيتعطل إنجيل المسيح !
أما نحن ، فلنا فكر المسيح .

آمين

إفلاس الضمير !

"مضى حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة "   (متى ١٩ – ٢٢)

لقاء المسيح مع الشاب الغنى الطيب ، والحوار الذى دار بينهما ، ثم نهاية المشهد المحزنة !

يمثل نقطة فاصلة فى حياة الإيمان المسيحى ، مشكلة معقدة واستفسار محير ، ومجادلة ليست هينة .

فالتلاميذ بهتوا مذعورين ، مما قاله يسوع عن ذلك الشاب وأمثاله من ذوى الأموال ..

كانوا قريبين من ملكوته ، ثم مضوا عنه آسفين .

هذا الشاب الرقيق يحفظ الوصايا منذ حداثته ، أو هكذا ظن فى نفسه!

يقرأ الناموس ويعمل به ، بحروفه ووصاياه ، على قدر ما تسمح به إرادته البشرية ...

يعرف التاريخ آبائه وأجداده ، وتعلم عند أرجل المعلمين والكهنة ..

لا يقتل و لا يسرق ، لا يزنى ، ولا يشهد بالزور .

يعطى العشور ، ويحفظ السبت ، ويقدم الذبائح .

فمن جهة الناموس بحسب الظاهر ، هو بلا عيب !
أفضل غيرة من كثيرين من أقرانه ، ومشهود له منذ حداثته .
إذا سمعت كل هذا من شفتيه ، لا تملك إلا أن تعطف عليه ، وتحبه ..
وإذا رأيته وهو يجثو على ركبتيه أمام المسيح ، متسائلاً عن ملكوت الله...
لا تملك شفقتك وانجذابك نحوه !

ثم تعتريك الدهشة مع التلاميذ ، كل الدهشة !
أيها الشاب : أنت قريب من ملكوتى ، ولكن إلى الآن لم تبصره ولا عرفته !
تعوزك خطوة واحدة حاسمة .. (مرقس ١٠ — ٢١)
خطوة واحدة تخطوها من أجلى ، لتجتاز عتبات ملكوتى !
ينبغى أن يزيد برك على الكتبة والفريسين ... (متى ٥ — ٢٠)
بع كل أموالك ، وزع على المساكين ، وتعال شاركنى إنجيلى وارفع صليبى!

فاحص القلوب والكلى ، والعالم بكل أفكار القلب ونياته ...
أدرك ما فى أعماق هذا القلب البائس من مأساة !
مأساة ديانة ظاهرية ، وغيرة ليست حسب المعرفة ، خالية من قوة الانفعال الروحى ..
هو حفظها منذ حداثته ، أى وصايا الناموس كله ...

إلا واحدة .... واحدة عظمى !

"الرب إلهك رب واحد ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى" (تثنية ٥ — ٧)

"تحبه من كل قلبك وقوتك وفكرك." (تثنية ٦ — ٥)

هذه الوصية الواحدة الأولى ، كسرها ولم يحفظها ..

فلو كان حفظها ، لما جاء للمسيح جاثياً على ركبتيه ! !

ولو كان سعيداً بما حفظه ، لما جاء للمسيح يسأله عن الرجاء فى الملكوت .

لم يكن سلام الملكوت إذن فى قلبه ، بل كان فى قلبه بره الذاتى ..

وخلا من البر العلوى الذى من الله ، حسب الإيمان !

فأعماله تحسب له على سبيل دين ، ولكن ليست بعد فى قلبه نعمة !

كسر الوصية الأولى ، ومن أخطأ فى واحدة صار مخطئاً فى الكل .

إن فى القلب آلهة أخرى أمامى ...

ففى وسط وصاياك أيها البار فى عينى نفسك ، فى وسطها حرام !

وثن ضخم ، وصنم آخر تعبده ..

وتحاول أن تخفى الصنم الكبير ، المستور فى قلبك ...

تقول إنى أصوم ، وأصلى وأعشر ، ولست مثل سائر الناس البطالين .

ولكنك تعيس ، لا يسكنك سلام التبرير بالإيمان .

لا تستطيع أن تعبد ربين ... وتسجد لإلهين !

فامتحنه الرب ، ما الذى تستطيع أن تفعله لأجلى ؟
فإنك تفعل كل شئ لأجل ذاتك ، لأجل نفسك ...
ومن أحب شيئاً أكثر منى لا يستحقنى ، ولا يستحق تلمذتى وملكوتى .
هلا تحفظ هذه الوصية الأولى ، التى نسيتها منذ حداثتك ! !
أن تحبنى أكثر من أموالك ، من كل قلبك وفكرك وقوتك ؟
أى تحب المساكين فى اسمى ، تحب الصليب والإنجيل لأجلى ..
وتأتى وتتبعنى ، فأعطيك كنز السماء ..
هو الأفضل ، والمجازاة العظمى المحفوظة فى السمويات .

هذا كان الامتحان القاسى بالنسبة للشاب البائس ، اختياراً فاصلاً بين الإلهين !
فاختار الشاب إلهه ، ومضى حزيناً !
وأطرق يسوع حسرة وإشفاقاً ...
ماذا ينتفع الإنسان إذا ربح العالم كله ، وخسر نفسه ؟ ؟
ماذا يعطى الشاب فداء عن نفسه ؟
أمواله ؟ .. واأسفاه إن الفضة والذهب أشياء تفنى ، لا تفدى النفس .
ولو كان لمثل هذا الشاب بر حقيقى بأعماله ، فلماذا أموت على الصليب؟

فبناموس الأعمال لن يتبرر كل ذى جسد أمامه ، بل بالإيمان العامل بالمحبة .

***

أيها الأعزاء – محبة المال أصل لكل الشرور ..
ضلال عن الإيمان ، وأوجاع كثيرة ، عسير الاتكال عليه ...
عبادة محزنة ، ارتداد مشين عن النعمة والتفكير المسيحى .
وإذا امتلأ قلبك بحديث المادة ، فإن عبوديتك لها تصبح مريرة موجعة .
ستشتهى ولا تملك ، تتعلم القسوة فى القلب ، وبلادة الضمير ، وصلابة الرقبة .

اذكروا جيحزى خادم إليشع النبى ، عاخان بن كرمى ونهايته المشئومة..
يهوذا الأسخريوطى الذى باع سيده ، لقاء ثلاثين من الفضة !
أذكروا حنانيا وسفيره أمام بطرس !

الاتكال على المال ، يفسد الاخلاق الجيدة .
يتولد عنه الطمع ، عبادة الأوثان ، العين التى لا تشبع !
والانغماس فى الشهوة مثل ذاك الذى "أنفق ماله بعيش مسرف" .
ثم الخيانة ، والرشوة ، والأنانية ،
تجارب وفخ وشهوات ، تغرق الناس فى العطب والهلاك ...
فمن أين الحروب والخصومات ؟ من أين إفلاس الضمير ؟

من أين فتور المحبة ، وتلاشي الإيمان ؟

أما نحن فلم نعرف المسيح هكذا ، هو قال لا تفكر فيما للغد .. وليست حياة الإنسان من أمواله .
فلا تلقوا رجاءكم على غير يقينية المال ، بل على الله الحى الذى يعطى بسخاء ولا يعير .
وإن وجدت فى قلبك ميلا وضعفاً إليه ، فحذار من أن يصير إلهك .
إما أن تصير سيد أموالك ، فتفرق وتعطى المساكين ، وتكتفى قانعاً ..
أو يصير المال سيدك ، فتمضى بعيداً عن الله ، حزيناً إلى غير عودة...

اذكروا جيداً كلماته الأسيفة !
تذكروا الجمل وثقب الإبرة ، ملكوت السموات الضائع ، فالخسارة جسيمة ، لا تعوض !
يسوع وحده ، من أجله خسرت كل الأشياء ...
وأحسب كل شئ نفاية ، ليكون لى معه فى الملكوت نصيب .

آمين

غيرة الهيكل

"غيرة بيتك أكلتنى" (يوحنا ٢- ١٧)

هذه الهياكل والقباب المرتفعة ، هى بيته ومسكنه !
وخيمة الاجتماع القديمة ، ثم هيكل سليمان فيما بعد ، كانا يعنيان أمراً واحداً جوهرياً للشعب العبرانى ......
الرب إلهك فى وسطك ! قائم فى هيكله !
وأمجد أيام الشعب كانت مرتبطة بهذا البيت ، وأتعسها ارتبطت بخرابه وانهياره ..
وفى أيام السبى التعيسة ، كانت قلوبهم تتطلع إليه من بابل ، عبر الأميال الكثيرة

فكم تحسبونه عاراً مشيناً ، وإهانه بالغة لا تغتفر ..
إذا استحال بيت الصلاة الخاشعة ، إلى بيت تجارة ؟
موائد الطهارة والولائم السمائية ، جعلوها مغارة للصوص ! !
والموضع المقدس ، الذى يعبدون فيه إلههم الواحد ، صارت تمارس فيه عبادات شريرة .
عبادة المال .. والآلهة الغريبة التى زنوا وراءها ، أيام معاشراتهم الرديئة للأمم !
يقولون بالشفاه "هيكل الرب .. هيكل الرب" !
وقلوبهم بعيدة عنه ، وذبائحهم مرفوضة ..
فأيديهم المرفوعة إليه رجالاً ونساء ، أياد غير طاهرة .

أما قرأتم قوله : "بيتى بيت الصلاة" ؟ (لوقا ١٩ - ٣٦)
أما قرأتم " إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس .. الذى هو أنتم"؟ (١كو ٣-١٧)
فأنتم هياكل مقدسة حية ، تُصلى فى هياكل مصنوعة بأيادى الناس !
أما قرأتم : "الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا" ؟ (يوحنا٤-٢٤)
أما قرأتم قط "غيرة بيتك أكلتنى " ؟

وجاء هو فقلب الموائد ، وألقى الأموال الدنسة إلى الارض ..
أطلق الحمام فى الهواء ، وأمسك السوط ! !
بسلطان وغيرة آكلة ..
بسلطان ابن وحيد ، قد خدم فى بيته !
ولكن أبناء قتلة الأنبياء ، والكهنوت الشرير ، رفضوه فى وسط هيكله..
فجاءت اللعنه المريعة .. "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" . ولا يتركون فيه، حجراً على حجر لا ينقض .
هو لا يسكن فى بيت أحجار ، مصنوع بأيادى الناس !
فإنك ياأورشليم لم تعرفى ما هو لسلامك ، وزمان افتقادك !(لوقا ١٩- ٤٤)

آمين

رائحة الطيب !

"ودهنت قدمى يسوع .. فامتلأ البيت من رائحة الطيب"   (يوحنا ١٢-٣)

ليلة عامرة ، قصة العشاء الوداعى ..
وليمة محبة ، رواها البشيرون باهتمام ..
تذكاراً لعمل مجيد ، قامت به امرأة قديسة .
فأدخلت السرور إلى قلب ، كان حزيناً حتى الموت .
أضفت به ابتسامة نبيلة ، على وجه معبر ..
كانت فى قسماته أوجاع الجسثيمانى ، وفى عينيه ظلال الصليب !

كانت المأساة القادمة ، تملأ أنفاس الرقيقة ..
وظلال الساعة القاتمة ، وسلطان الظلمة ، تطل عليه .
وكانت هناك وليمة محبة ، فى بيت عنيا الصغيرة ..
اعترافاً حسناً بالجميل ، من أجل حبيبه لعازر ..
ويسوع ضيف الشرف !

جلس للعشاء ، مع من تحبهم نفسه ، قبل أن يتألم ..

امتدت أمامه الموائد الخفيضة ، ومتكآتها الطويلة ..
وفى المكان وجوه تعرفه ، وأخرى لا تعرفه !
بطرس الصخرة ، وأندراوس الطيب ..
يوحنا الذى كان يحبه ، ويعقوب أخوه ، "ولدى الرعد" !
نثنائيل الذى لا غش فيه ، سمعان الغيور ، ومتى وتوما ..
وواحد آخر من الاثنى عشر ، رجل سلامته وأمانته !
يهوذا الأسخريوطى ، الذى أسلمه !

وكانت مرثا سيدة المنزل الأولى ، مدبرة فاضلة ..
تشرف وتهتم ، بأمور تلك الوليمة الوداعية !
ولعازر الحبيب .. العائد من كورة الأرواح إلى كورة الأموات !
ثم قديسة هذه الليلة المباركة .. مريم !

****

جلست مريم عند قدمى المعلم ، فى تواضع ..
اختارت النصيب الصالح ، الذى لن ينزع منها !
ثم فاجأت الجميع بخدمتها الخالدة .
فتحت قارورة طيب ، كثيرة الثمن ..
سكبتها فوق رأسه ، ودهنت منها قدميه ..

فامتلأ البيت كله ، من رائحته الزكية .

وفى وسط موجة من التساؤل والدهشة ، التى سادت جمهور الوليمة ..
رأى يسوع بالروح ، كل شئ ..
فقال مدافعاً عنها "دعوها تفعل"

وستفهمون ما هى فاعلة ، بعد ارتفاعى !
إنها سبقت ، ودهنت بالطيب جسدى ، للتكفين !
وحيثما يكرز بالإنجيل ، ويتعزى الناس اليوم بتذكار آلامه ..
يذكر أيضاً اسم مريم . تذكاراً لعملها المجيد !

والمحبة تعطى أفضل ما لديها .
لم تجد هى ما هو أثمن من زجاجة الطيب ، كثيرة الثمن ..
فاقت اللآلى ، لأنها صادرة من أعمق المحبة السامية .
فتلك القارورة ، هى قلب مريم !
وهذا الطيب هو نفسها ، وتلك الرائحة الزكية محبتها !

والأعمال العظيمة ، إنما تقاس بروح المحبة السخية ..
أى ما يقدر قلبك أن يعطيه لأجله ، وما يتبقى بعدئذ فيه !
فالحب يعطى أفضل ما عنده ، ولا يبقى لديه شيئاً ..

وزجاجة الطيب .. كانت كل ما تملكه مريم !
مثلما كانت خمسة أرغفة وسمكتان .. كل ما يملكه الصبى الصغير ! .
فأعطه أيها العزيز ، حينما يعبر ، أشهى ما تملك إلى التمام ..
القلب الذى له ، والدم النابض بحبه ..
الجسد الفانى بخدمته ، اذهب وأعطه ..
ومن أعوازك قدم ، لا من فضلاتك !

***

ومحبة الله ، تتبرر فى عيون بنيها !
كان هناك همس واحتجاج ، من بعض الفاترين فى الحب ..
أن هذا إتلاف للدنانير ، كان يمكن أن ينفع فقراء كثيرين !
ونسمع هذا الكلام كثيراً ، فى هذه الأيام ..
نسمعه ممن لا يحبون ، ممن لا يثقون كثيراً فى الوصية ..
أن تحب الرب إلهك ، من كل قلبك وقوتك ونفسك .

أولئك الفاترون فى المحبة ، يتساءلون بحكمتهم الخاصة ..
ما الفائدة من بناء الكنائس والهياكل ؟
وما جدوى ذلك النقش للإبداع والتصوير !
وما المنفعة من هذه الشموع والهبات ، فى الصلوات المستمرة ؟

وربما قالوا .. ليس الله محتاجاً لخدماتنا ، إنما الناس المحتاجون !

أما المسيح فلم يسمّ هذا ، إتلافاً !
بل حباً عميقاً خالصاً ، من مريم ..
إنك تستطيع أن تحب قريبك كنفسك ، كل وقت ..
ولكن لا تنس محبتك لله أولا !
فكل الإحسانات العظيمة للآخرين ، إنما تنبعث من محبتنا إياه .
وروح المحبة ، تسبق العمل نفسه .
هوذا زكا العشار ، لم يبد استعداداً لإعطاء نصف أمواله للمساكين إلا بعد ما قام بعمل من أعمال المحبة لله ..
أن صعد لأعلى الجميزة ، ليرى يسوع !
وبعد ما دعاه ، ليمكث فى بيته .

علموا إذن أولادكم ، تعليم تعب المحبة وعملها ..
خدمات محبته ، وكنيسته ، طوال العمر.
فمن هذه وحدها ، تنبع محبة القريب والفقير والمسكين !
علموا أولادكم ، أن يضيئوا الشموع فى الكنيسة ..
أن يتقنوا الترتيل ، ويوقدوا القناديل ..

أن يقتنوا الصور المسيحية ، ويحبوا مدارس الأحد .
فبهذا يتفرسون جيداً فى هيكل الرب ، ويعطون أطيب الطيب !

****

وعمل المحبة تدوم ذكراه ، إلى الأبد .
بخور طيب ، صاعد إلى عرش الله ..
وصلاة شكر لا تموت ألفاظها ، ولا تنسى !

لم يعرف عمل مريم ، وقيمته الدفينة ، سوى يسوع ..
ولكن الأجيال بعده ، أخبرت به حتى الآن .
والإنجيل الذى نحيا فيه ، ذكر وليمة بيت عنيا ، ومريم ..
فنادى محفل القديسين باسمها ، وتعب محبتها ..
تذكاراً حياً على مدى الأيام ، فى قلوب المؤمنين .

أما الذين لا يحبون ، فهاكم مثل أحدهم ..
كان فى الوليمة ، واسمه يهوذا !
لم يكن فى قلبه حب ، بل حسد وخيانة ..
وأعمال الخير والمحبة ، على رقتها ..
تُقسى القلب الفارغ ، فيزداد ظلمة وصلابة .

قال عن طيب مريم ، إنه إتلاف !
ياللعجب ! يغار على المساكين ، وهو يسرق الهياكل !
يتحدث عن الثمن الكثير ، وهو بائع معلمه ، بثلاثين من الفضة !

إن الذين لا يحبون من أعماق القلب ، مراؤون !
يتحدثون عن المساكين لا حباً فيهم .. بل لأنهم يأكلون اليتامى والأرامل !
ويذهبون للكنائس لا حباً فى الله ، بل لنوال تمجيد الناس !
قد باعوا إيمان ربنا يسوع ، وساروا فى خطوات الأسخريوطى !

ربى وإلهى ..
لا تجعلنا من الفاترين فى حبك ..
بل رافعين لك ، رائحة الطيب .

آمين

الشجرة العتيقة

" لا يأكل أحد منك ثمراً بعد ، إلى الأبد "   (مرقس ١١-١٤)

لعن المسيح شجرة التين العاقرة .. لأنها كانت بلا ثمر .
إنها واقعة ، غنية بالمعنى العميق ..
مأساة القلب الفارغ غير المثمر ، ونهاية كل حياة غير منتجة !

فأنت وأنا ، أمناء على وكالة ..
أنت وأنا ، حائران على وزنات لنتاجر فيها ، والرب يسوع ينتظر الثمر المتكاثر .
فماذا نفعل حين نسمع صوته — " أعط حساب وكالتك " ؟

اسمعوا صوت النذير ..
"كل غصن فى لا يأتى بثمر ، يقطع ويلقى فى النار " (متى ٣ — ١٠)
"الآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر " (متى ٣ — ١٠)
إنه صوت الملاك للكنائس ، يبكتها صراحة لأنها غير مثمرة .
فالشجرة الجيدة تعطى ثمراً جيداً ، والرديئة من ثمارها تعرفونها .
فإنهم لا يجتنون من الشوك عنباً ، أو من الحسك تيناً !

وكل مجمع من المؤمنين لا يثمر ، يشبه تلك التينة العاقرة ..

جسد ميت لا روح فيه ، عشب يابس ، وزهر يفنى جمال منظره ..
ومن ليس له شئ ، فالذى يظنه له يؤخذ منه !

والرب لا يشفق على الأغصان ، التى لا تثمر ..
قطعت ، وطعم عوضاً عنها فى زيتونته الأصلية ، فأثمرت ثلاثين وستين ومائة ! !
وقد قيل لليهود قديماً ، كيف يؤخذ ملكوت السموات منهم ، ويعطى لأمة تصنع ثمارة ..
ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً ..
فهو قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم ! (متى ٣- ٩)
وليست هنا منفعة أو شفاعة ، لقوم يقتربون بالشفاة ..
وقلوبهم غير مثمرة ، بالبر الذى بالإيمان العامل ..

***

وفى النهاية ، ترمز مأساة التينة العاقرة ، إلى نهاية خدمة الناموس العبرى القديم ..
إلى انتقال الملكوت من إسرائيل القديم ، إلى أمم وشعوب كثيرة ..
فالمسيح منذ تلك الساعة ، قد انتزع خدمة الملكوت الجديد .
ليصيره من كهنوت هارون إلى كهنوته الأبدى ، على طقس ملكى صادق .
ومن العهد الموسوى العتيق .. إلى العهد الجديد بدمه !

من ناموس موسى الحجرى .. إلى النعمة والحق بيسوع المسيح !

من سيناء القديمة ، حيث الرعود والبروق ..
والظلمة وصوت الزوبعة و والجبل الملموس بالنار ..
إلى أورشليم السمائية الحرة.. حيث الصليب، وكنيسة أبكار ومفديين...
ربوات قديسين ومحفل ملائكة ، ودم مرشوش ، يتكلم أفضل من هابيل.

منذ تلك الساعة — لا يكون من إسرائيل ثمر !
إلى أن تتم أزمنة الأمم ، فيُرفع الغضب وتخلص البقية ..
فالقديم أصبح عتيقاً ، ومال إلى الاضمحلال ، غير مثمر للخلاص ..
أما الزيتونة الجديدة فقد ثبتها على عهد أفضل ..
بوسيط أفضل ، وخدمة أفضل ، إلى الأبد .

فالطوبى والبركة لمن يكون له نصيب فى ثمار هذه الشجرة ، التى غرستها يمينه
وكل من يشترك فى الأغصان والثمار ، ينقيه ليأتى بثمر أكثر ..
إلى أن يجئ فى مجده ، ليعطى كل واحد كنحو أعماله.

آمين

الرب محتاج

" الرب محتاج إليه " (مرقس ١١-٣)

ربنا نفسه يسوع المسيح !
بهاء مجد الله ، ورسم جوهره .. (عبرانيين ١ -٣)
من تخدمه قوات الملائكة وربواتها ، وتسجد له كل الرئاسات العلوية ..

ربنا يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد !
يرسل قدام وجهه رسلا إلى قرية متواضعة ، ويطلب من أحباء مجهولين جحشاً ليركبه !
فإن " الرب محتاج إليه " !

الملك العظيم، الصانع ملائكته رياحاً، وخدامه لهيب نار (عبرانيين ١ — ٧)
لا يعد لنفسه مركبة نارية من السماء ، كمركبة صعود إيليا النبى ..
بل يختار الجحش المتواضع ، ليركبه فى الدخول لمملكته الجديدة .
وحتى ذاك الحيوان المتواضع ، لم يكن يمتلكه !
الرب محتاج ، وليس عن احتياج ! !

ويوحنا المعمدان سبق فاحتج من الدهشة ..

" أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى " ! (متى ٣-١٤)
فأجاب يسوع "اسمح الآن ، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" !
هو احتاج إلى رجال ونساء يخدمونه من أموالهم ..
ويقبلونه تحت سقفهم ، كى يغنى بهم الكثيرين ! (لوقا ٨-٣)
قدم إليه صبى مرة ، خمسة أرغفة شعير متواضعة ، ليشبع أكثر من خمسة آلاف من الجياع ، وفضلت عن الوليمة اثنتا عشرة قفة ! (يوحنا ٦ - ٩)
احتاج إلى سواعد الخدام فى قانا الجليل ، كى يملأوا الجرار الفارغة ماء ..
فأحالها بكلمته إلى خمر الابتهاج فى العرس ! (يوحنا ٢ - ٧)
وإلى رجال يرفعون الحجر عن قبر لعازر الميت ، كى يرد الحياة إلى جسده بعد أربعة أيام . (يوحنا ١١ - ٤١)

احتاج ليركب الجحش إلى أورشليم ، وديعاً متواضعاً ..
إلى الموت .. إلى الصليب .. إلى القبر الغريب !
كما احتاج إلى مائدة ، يعدها تلاميذه له فى الفصح الإلهى الأخير ..
وتم المكتوب فى الأنبياء قديماً ، بحرفه وروحه ..
" قبلت عطايا بين الناس ، والمتمردين للسكن " !

إنه محتاج إليك .. هلم أرسلك أمامى .
قد يحتاج إلى أموالك ، مواهبك ، غيرتك ، وقوة ساعدك !

فهناك رابطة لا تنفصم عراها ، بين المسيح وكنيسته ..
شركة عميقة متبادلة ، بينه وبين بشريتنا الضعيفة !
هو يأخذ مما لنا .. كى يعطينا مما له !
ويأخذ من ضعفك .. ليبادلك نعمة فوق نعمة !

الكنيسة محتاجة إلى جهودك ، مهما تواضعت ..
فلا تهرب منها ، أو تزوغ متوارياً بين بنى البشر ..
كأس الماء البارد لأحد إخوته الأصاغر ، الفلسان المتواضعان لأحد إخوته المساكين ..
العشور للمحتاجين ، العزاء للحزانى ، الافتقاد للبائسين والمطروحين ، والتبشير للضالين ..

وفى النهاية لن يضيع أجرك !
فهو يعطى بسخاء مائة ضعف ..
ونشاركه ميراثاً لا يضمحل أو يتلاشى فى السماويات ، مع ربوات القديسين .

آمين

حرية المجد

" وتعرفون الحق ، والحق يحرركم "   (يوحنا ٨ — ٣٢)

نحن أحرار .. نحن أحرار !
حررنا الابن الوحيد ، فبالحقيقة صرنا أحراراً (يوحنا ٨ — ٣٦)
نسمع اليوم قولا كثيراً عن الحرية ، من مشارق الأرض إلى مغاربها..
هى فى كل كتاب وعلى أى لسان !
يختلف الناس فى فهمها وفق مذاهبهم ، ومبادئهم ، واتجاهاتهم ! !
مثل كل شئ فى العالم ، قد اتفق أولاده ألا يتفقوا عليه !

ولكنها على لسان المسيح ، أخذت معنى جديداً ..
واكتسبت سمواً وجلالا ، أكيداً مجيداً ..
فمن شفتيه انسكبت حرية العهد الجديد ، حرية مجد أولاد الله ..
وبإعلاناته خرجت أخبار الحرية الحقيقية ، طاقة عظيمة لاتقيد ، ولا يختلف فى معناها اثنان !

****

المسيح يحرر النفس من الخطية..
عمل التعدى الردئ ، الذى عمل تحت الشمس ..

فالخطية خاطئة جداً ، وقبيحة إلى المنتهى ..
ارتبط بها البشر من البداية ، فعذبتهم ، وخلقت فيهم شعور الذنب والندامة ..
من البدء يقول قايين ، " ذنبي يارب أعظم من أن يحتمل " ! (تكوين ٤ -١٣)
وفيها يقول بولس ، " ويحى أنا الإنسان الشقى ! " (رومية ٧ – ٢٤) وإليها يشير المسيح ، "كل من يفعل الخطية هو عبد لها " ! (يوحنا ٨ – ٣٤)

ولكن اسم يسوع البار ، قد حطم هذه العبودية ، وكسر ذلك النير والهوان ..
ففى المسيح خُلقت للوجود مثل عليا ، وفضائل لا مثيل لها تحت السماء !
إنها تجديد ، إنها الولادة الثانية بالماء والروح (يوحنا ٣ – ٥)
وهو أعتقنا من عبودية الخطية ، أزال شوكتها وسلطانها الأول ، بالغرائز والانفعالات ..
وصرنا أولاد النور ، وأولاد النهار ..

فى هذا ينادى الرسول منتصراً "يعظم انتصارنا بالذى أحبنا" !(رومية ٨– ٣٧)
ويقول أيضاً : " لن تسودكم الخطية " ! (رومية ٦ – ١٤) .
لا تملك فى أجسادنا نجاستها ، لأننا تحت النعمة ..

وكل هذا التحرر الداخلى العميق ، ما كان ليحدث لولاه ..
ترى بشاعة الخطية ، من طهارة وجهه !

وأجرتها الرديئة ، من صفاء عينيه !
فظاعة الإثم ، من المسامير التى ثقبت يديه !
وأجرة الموت من الحربة والجراحات العميقة !

لهذا بكى بطرس بكاء مراً ..
لهذا تركت السامرية جرتها ، عند بئر السامرة ..
ودهنت الخاطئة قدميه بالطيب ، ومسحتهما بشعر رأسها ودموعها !
لهذا ركض زكا فوق الجميزة ، وأعطى نصف أمواله للمساكين !
وترك متى خطاياه عند كرسى الجباية ، ومضى يتبعه !
إنها ثورة الحرية ، حرية العهد الجديد !

***

والمسيح محرر مثالى !
يحرر أيضاً من الخوف والقلق والاضطراب ..
فقد ثبت أن أولاد الله بالروح والحق ، يملكون نوعاً ممتازاً من الصلابة والاستقرار والسلام ..
وهذه النفسية الخاصة ، التى يتميز بها أحباؤه ، ترجع إلى روح المسيح فيهم .. الروح الأولى التى أخذتها الكنيسة منه منذ البداية .

فهو يقول : " ثقوا .. أنا هو .. لا تخافوا " !

" لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب " (يوحنا ١٤ – ١)
" أنا معكم كل الأيام ، وإلى انقضاء الدهر " ! (متى ٢٨ – ٢٠)
ولذا فأبواب الجحيم لن تقوى على نفسك ، وسفينة إيمانك لا تنكسر .
بسلامة تضطجع ، لأنه يعطى حبيبه نوماً ..
وحتى إن اهتزت الجبال وفاضت المياه ، لا تتزعزع أساساتك !

انظروا العالم حولكم ..
قارنوا بين حريته والحرية التى بها حررنا المسيح ..
توجد أغلبية ساحقة ، ممن يسمون أنفسهم أحراراً ..
وهم يعانون القلق العميق ، وعدم الاستقرار ..
الخليقة كلها ، تئن وتتوجع ..
يضطجعون ولا ينامون .. يسهرون ولا يهدأون !
فى جفونهم سهاد وإرهاق ، فى أفكارهم بلبلة وخوف .. وفى جباههم ، تجاعيد عميقة !

لا سلام فى العالم ، ولا حرية تحت مبادئه وأعلامه !
فاطلبوا السلام ممن قال : " سلاماً أترك لكم ، سلامى أعطيكم ، ليس كما يعطى العالم أعطى أنا" ! (يوحنا ١٤ – ٢٧) .
تشدد وتشجع جداً .. إنه معك وإلى جوارك !

فراغ القلب ملأته نعمته الغنية ، التى لا تستقصى ..
والسراج المنطفئ ألهبه وأوقده ، بزيت نعمته .
فبشروا بهذا بين المتعبين ، وثقيلى الأحمال ..
بين فاقدى السلام ، ، ومضطرب القلوب ..
ووسط اليائسين ، والمتروكين ، والمتحيرين ..
ليكون لهم نصيب فى الحرية الجديدة ، التى حررنا بها المسيح !

***

وفى النهاية و حررنا من الموت !
آخر عدو فى الوجود غُلب على أمره .. هو الموت ! (١كورنثوس ١٥ — ٢٦)
مات أولاد الله ورجال الإيمان منذ البدء ، على رجاء وعد الحياة الأبدية..
ماتوا جميعاً قبلما ينالون المواعيد ، أو يدخلون الراحة المرجوة ..
واجتمعت نفوسهم ، فى انتظاره ، فى الهاوية !

وبعد أن مات المسيح بالجسد ، نزل إلى الهاوية ..
كرز للنفوس التى فى السجن ، أعتقها وحررها ..
وفتح لهم جميعاً أبواب الفردوس ، الذى لا تغرب شمسه ! (١بطرس ٣ — ١٩)
وتفتحت قبور ، وظهر كثير من الصديقين بقيامة أجسادهم ، فى المدينة المقدسة !

تلك أعظم الحريات جميعها ..
ومن الضرورى أن نتذكرها ، لنعزى بعضنا بعضاً ..
لنا مسيح حى ، لا يمسكه الموت .. (اعمال ٢ — ٢٤)

فى يمين العظمة ، فى الأعالى .. (مرقس ١٦ - ١٩)
أعداؤه ، عند موطئ قدميه .. (مرقس ١٢ - ٣٦)
وكرسيه ، إلى دهر الدهور .. (مزمور ٤٥ - ٦)
صائراً أعظم من الملائكة .. (عبرانين ١ - ٤)
وجاثية له ، كل ركبة .. (فيلبى ٢ - ١٠)

إنه يحرر من خوف الموت بلا رجاء ، ومن سلطان الجحيم .
يقول : " أين شوكتك ياموت ، وأين غلبتك ياهاوية ؟ " (اكورنثوس ١٥ - ٥٥)
تأتى ساعة ، فيسمع الذين فى القبور صوته .. (يوحنا ٥ - ٢٨) الترابيون والسمائيون .. الراقدون الأحياء !
ثق به ، وهو يشجعك " أنا أقيمك فى اليوم الأخير " . (يوحنا ٦ - ٤٠)
أخبار سارة ، وامتداد حياة أبدية ، فى أحضانه ..
حرية كاملة ، هنا وهناك ..
فى الجسد ، أم خارج الجسد .
فاكرزوا بهذا الحق لجميع الباكين ، ومن ليس لهم رجاء فى الارض ..
لننال معاً نصيباً ، فى حرية مجد أولاد الله !
بالمسيح يسوع مخلصنا .

آمين

قد أُكمل !

" فلما أخذ يسوع الخل ، قال قد أُكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح " (يوحنا ١٩ — ٣٠)

مات إبراهيم بشيخوخة عامرة بالأيام والإيمان ، بعدما عاش طوال حياته متغرباً فى الخيام ، على رجاء نسل يرث به الأرض ، وأمم تتبارك فيه . مات دون أن ينال هذا الوعد أو يرى إتمامه ، ودفن فى مقبرة غريبة ، بجوار زوجته سارة ..

خدمة عظيمة ، وإنما رسالة لم تكمل بعد ! ولكن رقد معه رجاء إلى جواره ..

ومات يوسف الصديق فى مصر ، بعد أن خلص الأرض كلها وإخوته من المجاعة الطاحنة ، وبعد أن جعل لهم مقاماً فى مصر القديمة . ولكنه وهو على سرير الموت ، أوصى من جهة عظامه ، ليصعدوا بها معهم من مصر إلى كنعان ، حينما يفتقدهم الله .

رقد إلى جواره هذا الرجاء ! خدمة عظيمة ، وإنما رسالة لم تكمل بعد !

ومات موسى نبى الشريعة العظيم ، الرجل الذى قاد شعبه فى البرية أربعين سنة ، من مصر إلى ضفاف الأردن . كانت أمنية حياته أن يدخل أرض الميعاد ، التى تفيض لبناً وعسلا . بقيت نضارته ولم تكل عيناه ، وهو ابن مائة وعشرين سنة . رأى الأرض الموعودة ببصرة ، ولكن بقى الأردن المتكبرفاصلا عنيداً بينه وبينها . فمات فى قبر مجهول دون أن يدخل أرض الموعد.

خدمة عظيمة ، ولكنها بقيت غير مكملة !

ودخل الشعب أرض الميعاد .. ولكن يشوع القائد المؤمن العظيم ، مات وهو يقول " بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك " . إذ أدرك بالروح ، أنه قد بقيت راحة لشعب الله لم يدخلوها بعد !

خدمة عظيمة ، لكنها رسالة لم تكمل بعد !

على هذه الوتيرة مات الآباء أجمعون ..
على هذه الوتيرة ، رقد رجال مدينة الله ..
واحد يجئ ، فى أعقاب واحد يذهب !
هذا يموت ، ويسلم خدمته لآخر .. من يد إلى يد ، ومن فم إلى فم !

كل هذا والرساله واحدة على مر الأجيال والقرون ، والخدمة فصولها لم تتم وصفحاتها لم تكمل! وهذه السحابة العظيمة من الشهود ، رقدت على الرجاء تنتظر الكمال ، من سيختم السفر ويكمل الرسالة ؟

***

إلى أن كانت ساعة من نهار ، أظلمت سماؤها وغامت ، وتسربلت فيها أورشليم برداء حزين ، لم تلبس مثله فى حياتها قط .. وفى خارج أسوارها المرتفعة ، فوق

تل الجلجثة ، رفعت ثلاث خشبات ، وعلقوا على الصليب الأوسط جسداً رقيق العود ، كانت السماء شاخصة إليه!

تكلم فوق صليبه سبع مرات ، لينطلق سبع كلمات ! وربوات من الآباء والقديسين والملائكة ، كانت عيونهم ناظرة إليه ، وجوههم مثبته على وجهه ، وآذانهم متلهفة إلى كلماته ! وكانت الساعة تقترب من الثالثة بعد الظهيرة ، حينما فتح فمه الطاهر . فاستجمع قواه المتهالكة ، وصاح بالكلمة السادسة على الصليب " قد أكمل ! "

صيحة تردد صداها فى أعلى علو السماء ، وأعمق أعماق الهاوية! صيحة الخلود ، والظفر ، صيحة انتصار ذاك الذى أحبنا ! ليست فيها آلام قلبك نحو أمتك ، ولا أوجاعك نحو أمك الثكلى . ليست فيها الوحدة الموجعة ، لأن الآب قد حجب وجهه ، ولا جفاف اللسان وأنت تقول " أنا عطشان " !

بل فيها خلودك ، ياابن الله ..
أكملت سعيك ، وتممت خدمتك ..
حفظت عهدك ، وبنيت بيتك ..
رفعت أعمدتك السبعة !
وغلبت العالم بأسره ، لنفسك ..

أيها الملك فوق الملوك ، ورب الأرباب !

***

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب على هذه الخشبة ؟

نعم أكملت خدمة كل تلك السحابة ، من الأنبياء والخدام والشهود . إبراهيم تهلل وجهه ، إذ رأى يومك العظيم وساعتك المجيدة . ولما قلت هذه الكلمة على الصليب ، أتممت له خدمته ورجاءه القديم .
ففي إيمانه تباركت جميع الأمم ، وإلى أحضانه جاء كثيرون من المشارق والمغارب .
مثل رمل البحر ذريته ، كنجوم السماء فى الكثرة !

وموسى وإيليا ، أتممت خدمتهما بهذا الخروج ، الذى كنت عتيداً أن تكمله بآلامك على الصليب. فأتممت ذلك الحديث الذى بدأته معهما على جبل التجلى المجيد ! يشوع أيضاً ، أدخلته مع شعب الله إلى الراحة الموعودة ، فى المكان الذى هرب منه الحزن ، والبيوت غير المصنوعة بأيادى الناس !

وتممت أقوال أشعياء الذى رآك فى الروح قبل قرون ، وأنت كشاة صامته تساق للذبح ، لم تفتح فمك .. مجروح لأجل معاصينا ، ومسحوق لأجل آثامنا .. ساكباً للموت نفسك ، ومحصى مع الأثمة ، لتبرر كثيرين وتشفع فى المذنبين . وداود

قد أُكملت مزموره حينما قال ، ثقبوا يديك ورجليك وأحصوا كل عظامك ، اقتسموا ثيابك وعلى ردائك ألقوا قرعة !

***

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

أُكملت كل الرموز والخدمات القديمة ، كهنوت هارون . فكلها كانت ظلا لخيرات عتيدة ، كملت عندما نطقت بالكلمة السادسة على الصليب. ليست أشباه السماويات بل السماويات نفسها !

فصح الرب القديم فى مصر ، خدمة الدم ، تشير إليك يا

" حمل الله الذى يرفع خطية العالم " فبدون سفك دم لا تحصل مغفرة ! وأنت المسيح ، فصحنا الذبيح .. جسد مصلوب ، ودم مرشوش ! كى يجوز عنا الملاك ولا يهلك ، لأنك تخلص ما قد هلك !

وعبور البحر الأحمر ، والسحابة فى البرية ، تشير إلى معموديتك الجديدة . والصخرة التى شرب منها الشعب فى البرية ، هى المسيح . والحياة على المن أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة ، تشير إليك أيها الخبز الحقيقى النازل من السماء . يُعطى حياة أبدية لكل من يأكل منه ، ليس كما أكل أباؤكم المن

وماتوا! وكما رُفعت الحية النحاسية فى البرية ، هكذا رفع ابن الإنسان ، كى لا يهلك من يؤمن به بل تكون له حياة الأبد .

فى القديم ذكر لخطايا كثيرة ، وذبائح ومحرقات تقدم كل يوم وكل سنة ، عن خطايا الشعب والذين قدموها . ولكنها لا تقدر أن تنتزع خطية ، ودم ثيران وعجول لا يستطيع أن يغسل إثما . إنما كلها تشير إلى ذبيحة الصليب ، وجاء المسيح رئيس كهنة على طقس جديد ، خادم المسكن الحقيقى ، فقدم ذبيحة مقبولة أبدية ، مرة واحدة وبلا عيب ، أى ذبيحة نفسه !

***

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟
أكملت العمل الذى أرسلت من أجله .. فقد تركت العرش إلى المزود الوضيع !
وخدمة الناصرة الهادئة ورسالة الجليل ، أكملتها خارج أبواب أورشليم .
ولم تتم قط خدمة بهذه الروعة ولا كملت بهذا الكمال .

كل ساعة عبرت ، كانت إتماماً لمقاصدك ، ومشورتك المحتومة .. فالذين صلبوك ، لم يعرفوا ما هم فاعلون ، وإلا لما صلبوا رب المجد .. والذين رفضوك ، صار رفضهم مصالحة للعالم بأسره ، وزلتهم صارت خلاصاً ، ونقصانهم غنى للشعوب !

أكملت العمل ، المصالحة بين السماء والأرضيين . فالله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم . أكملت السلام ، سلام القلب والنفس بين القريب والبعيد ، حين جمعت لنفسك جميع الإخوة المتفرقين ، إلى واحد . أكملت الوثيقة الجديدة ، عهداً بين الله والناس ، لا تعود تذكر خطاياهم وتعدياتهم ، ليصيروا لك شعباً مختاراً وأمة مقدسة . كل هذا أكملته ياربى ، بإرادة واعية مطلقة ، باختيار المحبة الكاملة غير المنقوصة ، عندما نطقت هذه الكلمة السادسة على الصليب !

***

ماذا أكملت أيها الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

الكأس امتلأت وفاضت ، مكمل بالآلام ! ومن يطالع آلام ساعتك فى الأناجيل ، كما رواها الذين عاينوها من البداية ، يتراءى له أنه لم يذق أحد الألم عميقاً كما تذوقته ، أو الموت كما تجرعته..

الإناء الرقيق يتحطم ، والعود الرطب ينكسر ..
الأكتاف الممزقة ، الظهر العارى ، والعار الذى للازدراء .
الجراحات العميقة الأربعة ، وأنت معلق عليها ..
الأعصاب الناتجة بالألم ، والشرايين النازفة بالدم ..
الرأس المتفجر بالأوجاع ، واللسان الملتهب بالجفاف .

أما آلام نفسك العظيمة ، فمن يسبر غورها وعمقها ومن يقدر أن يشاطرك أسرار قلبك الدفينة ؟

من جراء شعبك ، ومن جراء خطايا الكثيرين ..

من أجل أحبائك ، ومن أجل أعدائك ..

الآب يحجب وجهه ، فى ساعة الظلمة !

والملائكة أمسكت ، فلا تقدر أن تخدمك فى محنتك ..

والألسنة الشريرة كانت تلعن باستهزاء !

فتذكروا كيف احتمل كل هذه المقاومة ، إلى أن نطق بالكلمه السادسة على الصليب .. "قد أكمل" !

***

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

أكملت انتصارك ، والذى جربك فى البرية أربعين نهاراً وأربعين ليلة، جاء أخيراً وليس له فيك شئ ! جاءت الحية القديمة لتلدغك ، ورئيس سلطان الهواء ليعثرك . أما أنت فأكملت سعيك وجهادك ، لتسحق الحية تحت قدميك ، وتبطل كل رئاسة وسلطان حاول أن يسود عليك .. أشهرتهم ظافرا بهم ، وأسقطت العدو المتكبر من السماء كالبرق ، إلى أعمق أعماق الجحيم .

كان يجربك ويهمس إليك ، انزل عن الصليب إن كنت ابن الله ! لماذا تموت هذا الموت المريع ؟ أمن أجل إسرائيل شعبك ؟ إنهم لا يقبلونك ، قالوا ليس لنا ملك إلا قيصر ! أمن أجل تلاميذك وأحبائك ؟ أشجعهم أنكرك ، وآخرهم أسلمك ، والباقون تفرقوا مثل غنم ضالة ! أمن أجل الأمم؟ أنصت إلى لعناتهم ، استهزاء واحتقار وجلدات كثيرة . أما هو فقال ، اذهب عني ياشيطان ، فلن أنزل عن صليبي وعرشي الذى أخترت !

فحقاً قد جاء الأقوى ، لينهب بيت القوى المجرب ، يقيده ويبطل سلطانه .

***

ماذا أكملت أيها الأبن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

أكملت حياة حافلة ، لم تقم مثلها بين البشر حياة !

هذه السيرة العجيبة ، ذات الأثر العميق ، أكملت آخر أنفاسها على الخشبة .. النعمة والسمو ، النقاوة والحب العظيم . من بيت لحم الصغيرة إلى الناصرة ، ومن شواطئ البحيرة اللامعة فى الجليل إلى أورشليم .. من يمسكك على خطية ، أو يبكتك على عيب ؟

فى وسط كل الكذبة والأردياء ، المتكبرين والظالمين وشهود الزور، بقى يسوع محتفظاً بمحبته وتقواه . ببهاء مجده ! لم يوجد نسيج له كل هذا النقاء

والروعة ، ولا تم لحن خالد بدون عيب واحد ، مثل لحن حياة ابن الإنسان . فجمال حياته كائن فى طبيعته ، فى نفسه وفى روحه .

ما هذه القوة التى انبعثت من حياته فى تلك الساعة الأخيرة ؟وكيف يمكن تفسير كل هذه الظواهر العجيبة ؟ لماذا يشنق يهوذا نفسه ؟ ويبكى بطرس بكاء مراً ! لماذا ترسل زوجة بيلاطس الغريبة ، تلك الرسالة إلى رجلها متألمة ؟ ولماذا يطلب بيلاطس ماء ليغسل يديه ؟ لماذا يقرع الواقفون عند الصليب ، صدورهم وقت الظلمة ؟ ولماذا يطلب اللص القاتل ، أن يدخل إلى الفردوس !

لماذا كانت كل هذه الانفعالات العنيفة ، فى حياة أولئك الناس ؟ ليست هناك سوى إجابة واحدة ، إن يسوع كان طاهراً بلا خطية . فكانت حياته النقية منعكسة على من حوله من الخطاة ، فيسقطون أسراه !

يهوذا قال " أسلمت دماً بريئاً " !
وامرأة الوالى " يابيلاطس ، إياك وهذا البار " !
والوالى " لست أجد علة فى هذا الإنسان " !
وقائد المائة " حقاً كان هذا ابن الله " !

***

ولما كانت الثالثة بعد الظهيرة ، وبعد أن قال الكلمة السادسة ..

نكس رأسه فى جلال وهدوء ، وأسلم الروح ..
قد أكمل كل شئ ، ليستعيده عند فجر القيامة !
والله خلق كل شئ ، وأتمه حسناً فى اليوم السادس ، ثم استراح ..
وأتم أيضاً كل شئ وأكمله ، فى الكلمة السادسة على الصليب .

رأى يسوع ما عمل ، أنه حسن ..
حسن للغاية ، فى عينيه ..
فأغمضها واستراح !

آمين

بالحقيقة قام

" أنا هو القيامة والحياة " (يوحنا ١١ – ٢٥)

" قد قام " (لوقا ٢٤ – ٦)

فى اللحظات التى مات فيها المسيح على الخشبة ، والفترة الضيقة التى تبعتها ، لم تكن هناك جماعة أكثر ضعفاً وخزياً ، وأوفر حزناً وانسحاقاً ، من كنيسة الرب .

كان إحصاء نفوسها لا يتعدى عشرات قليلة ، أكثرهم جرأة قد أنكر معلمه بتجديف وصياح وقسم . وأخلصهم إليه تفرقوا مذعورين من الخوف ، لتجمعهم حجرات مغلقة مثل قطيع من الخراف الهاربة المضطربة . لا يظهر واحد من هذه الشيعة المتفرقة فى مجمع ، أو يجرؤ على الكلام فى الهيكل ، فإن لغته تظهره . كانوا جميعاً على هذه الحال ، والسبت يلوح .

فكيف كان ما كان ؟ وكيف استحالت القصبات المرضوضة إلى أعمدة الكنيسة ؟ وصار الضعف قوة ، والهوان كرامة ، والحزن والرثاء فرحاً وابتهاجاً ، حتى يتسلطون على المبادئ ، ويقوون على السلاطين والرياسات ، ويغلبون العالم بأسره !

هناك إجابة واحدة ممكنة ، القيامة من الأموات ! فتلك الثورة الفاصلة فى تاريخ البشرية ، إنما تولدت بقوة قيامة الرب الخالدة . هى كانت السبب المباشر فى قيامة الكنيسة المنظورة ، بقوة وعزم وتكاثر ، بصلابة عميقة أقوى من التاريخ وأثبت على الاضطهاد !

شعر بذلك أعداء الكنيسة فى القرون الأولى ، فاضطهدوها وقاوموها . غير أن قيامة يسوع ، هدمت كل علو ارتفع ضدها ، لتبقى حقيقة الروح والتاريخ التى لا تتزعزع .
وشعر بذلك وأدركه أعداء الكنيسة فى الأيام الاخيرة أيضاً ، فقاوموها بإثارة الشك فى صحتها ، وبسائر التفاسير التى نسجوا خيوطها الواهية حول الروايات الإنجيلية . إلا أن قيامة الرب بقيت حقيقة صادمة كالصخر ، قائمة على أسس روحية وأدبية ومادية ، أقوى بكثير من أن تؤثر فيها فلسفات جامدة مجدبة ، لا حياة لها ولا خلود

وصف متى البشير قيامة الرب ، فى جو من البهاء والعظمة والإشراق ، يليق بقدرة الابن الوحيد وجلاله . ووصفها مرقس الإنجيلى ، بوقائع مبسطة وبراهين عديدة وكتب عنها لوقا الطبيب الحبيب ، كما يكتب عن الأمور المتيقنة عندنا منذ البدء ، متحدثاً عن ابن الإنسان الذى أراهم نفسه حياً طوال أربعين يوماً ،

ويحدثهم عن الامور المختصة به وملكوت ملكوت الله . أما يوحنا الرائى فقد كتب كتلميذ عاين وشهد ، لتؤمنوا بابن الله الحى ، ولتكون لكم فيه حياة أبدية .

***

وأول شهود قيامة الرب كانوا أعداءه ومبغضيه ! فالملائكة بلباسها اللامع وهيئتها النورانية ، والزلزلة التى حدثت ، والحجر الكبير الذى دحرج ، والشروق العظيم فى وسط الظلمة ..
كلها جعلت الحراس والعسكر يسقطون على وجوههم كأموات أمام مجده الذى لا يدنى منه ! (متى ٢٨ – ٤)

ولم يكن ممكناً أن تقاوم علامة قيامته بسلاح وسيوف وحرب ، لأنها كانت قادرة على هدم الحصون التى ارتفعت عليها ! فلم يبق طريق آخر لمقاومته ، سوى الصمت الذى لاذ به الحراس المساكين ، والرشوة التى دفعها قوم من أعدائه ممن أعمى إبليس قلوبهم ، وتسلطت عليهم روح الكذب والافتراء والكراهية ..
شائعة ضعيفة أن تلاميذ سرقوه ليلا والحراس نيام ! ! (متى ٢٨ – ١٢،١٣)
وتجئ المريمات ، ودورهن فى قيامته عظيم ، كإخلاصهن عند موته على الصليب . جئن باكراً جدا والظلام باق ، ومعهن الحنوط ليعطين جسده حقاً من الكرامة ! وسبقتهن واحدة لها مكانة خاصة فى الإنجيل ، هى مريم المجدلية . .

آخر من بقى تحت الصليب وأول من توجه إلى القبر ! جاءت لتعاين أصحاب الهيئة النورانية ، يتحدثون إليها " إنه قام " !
ورأت القبر الفارغ والحجر المدحرج ، فاشتد اضطرابها وامتلأت دهشة وحيرة ، واختلط عليها الأمر بين الحقيقة والخيال ، إلى أن قطع يسوع شكها بيقينه . وإذ أخطأت هيئته الممجدة لحظة، سمعت صوته فلم تخطئه ، ونظرته بدقة وعمق فعرفته ! نادت وهى جاثية عند قدميه "ربونى .. أيها المعلم" ! (يوحنا ٢٠ - ١٦)

كانت هذه شهادة المجدلية الأولى ، التى لا تخطئ .. إلى العالم !

والمريمات الأخريات أيضاً ، قابلهن فى الطريق ، وهن فى دهشة وحيرة من المنظر الذى كان فى القبر المفتوح ، وهيئة الملائكة النورانين . فقطع يسوع حيرتهن بيقينه وظهر لهن وباركهن . وإذ سجدن له وأمسكن يقبلن قدميه ، ذهبن إلى التلاميذ مسرعات ببشارة القيامة ، إن الرب يسبقكم إلى الجليل كما سبق فوعد قبل موته (متى ٢٨ - ٩)

وظهر الرب أيضاً لبطرس ، بصفة خاصة وشخصية ، كقول لوقا الإنجيلى . ولم يذكر الكتاب شيئاً تفصيلياً ، عن هذه الزيارة بين المسيح وتلميذه الحبيب (لوقا ٢٤ - ٣٤)

فهناك فى حياة المسيح ، أشياء كثيرة ذات صفة خاصة ، لو كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن أن العالم كله يسع الكتب المكتوبة !

وظهر فى اليوم عينه ، عند نهاية النهار ، لاثنين من تلاميذه كانا منطلقين إلى عمواس ، ودارت بينهما وبينه محاورة دقيقة عن الصلب والموت ، والأخبار الجيدة .. حدثهما عن النبوات القديمة ، الآلام والأمجاد . وإذ مكث معهما ببساطة الأحباء وقد مال النهار ، أخذ الخبز وبارك وكسر .. وللوقت انفتحت أعينهما فعرفاه أنه يسوع ابن الله ، وعادا إلى أورشليم بالأنباء السارة ! (لوقا ٢٤ — ٣٥)

وفى هذا الأحد نفسه ، الغنى بالأحداث ، أظهر يسوع نفسه لتلاميذه . كانوا مجتمعين فى حجرة مغلقة النوافذ والأبواب . فوقف فى وسطهم يلقى عبارته الرقيقة ، التى لازمت البشارة باسمه ... "سلام لكم" ! وإذ كانوا مشدوهين حيارى ، هدأ اضطرابهم وفكر قلوبهم . أكل معهم وشرب ، وأراهم يديه وجنبه ، معلناً لهم ذاته المجيدة ، فعرفوا يقيناً أنه فى وسطهم حى ! (لوقا ٢٤ — ٤٢)

***

وفى الأحد التالى ، ظهر مصحوباً فى ظروف عميقة التأثير ، فإن واحد من تلاميذه لم يكن حاضراً الزيار الإلهية الأولى ! ومع كون التلاميذ قد أكدوا له أنهم

رأوا الرب ، فإن توما بقى على شكه فيما سمع ، لا يشاركهم الفرح العميق واليقين الصادق ما لم يتحسس بأنامله آثار الجراحات والطعنة فى جنبه ! (يوحنا ٢٠ — ٢٥)

جاء مرة أخرى فى وسطهم ممجداً ، ووهبهم هذه البركة العجيبة بسلامه الهادئ المتواضع . ثم اختص بحديثه توما ، الذى كانت الأفكار والهواجس تجوز فى نفسه . ناداه باسمه ، وأمره أن يلمس بيديه الحقيقة الواقعة من جهة كلمة الحياة . . ادفع إصبعك فى العلامة الأبدية الغائرة ، فى راحتيه ! وادفعه أيضاً فى الجراحات النافذة فى جنبه من الذين طعنوه ! ولتكن بعد ذاك مؤمناً ولو أضعف الإيمان ، إن كانت الحواس هى منبع الإيمان ! فصاح توما ساجداً مستسلماً بكل جوارحه " ربى وإلهى " (يوحنا ٢٠ — ٢٨) فطوبى للذين آمنوا ولم يروا!

وكان الظهر التالى ، الذى سجلته البشائر الإنجيلية ، لسبعة من تلاميذه بجوار بحر الجليل . كانوا قد عادوا حيناً إلى السفن القديمة والشباك للصيد ، وبعد ليلة من الكفاح اقتربوا نحو الشاطئ فى طيات الفجر المبكرة ، دون أى يمسكوا شيئاً .. ومن خلال الضباب كانت العيون تشخص إلى واحد لم يعرفوه بالتدقيق
وأمرهم أن يلقوا شباكهم إلى الجانب الأيمن من السفينة ، وعلى كلمته ألقوا ، فلم يعودوا قادرين أن يجذبوا الشباك من كثرة الصيد !

وكانت هذه الآية لهم من القوة والإعجاز ، حتى أنها أثارت فيهم ذكريات الأيام الأولى .. فى السفينة الأولى .. حين تبعوه ! " إنه الرب"، همس يوحنا فى أذنى بطرس الطيب القلب ، فألقى هذا بنفسه فى عمق المياه ، سابحاً بحماسة وإخلاص نحو الشاطئ القريب ، يتبعه الآخرون بالسفينة والفرح العظيم . وعلى شاطئ البحر ذى الذكريات الغنية ، أعطاهم ليأكلوا ..

ثم أنصتوا إليه يقول"يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ " (يوحنا ٢١-١٦) ذكرته تلك العبارة بليلة الآلام ، بافتخاره ثم إنكاره ! ولكن عثرة بطرس علمته التواضع هذه المرة ، وجعلت فى قلبه أعمق إحساسات المحبة والتفانى . فأجاب يسوع ثلاث مرات " أنت تعلم ياسيد أنى أحبك " ! وعندئذ أعلن يسوع لسمعان طريق حياته المقبلة ، نهاية سيرته فى الإيمان ، وإكليل شهادته من أجل اسمه . ومن تلك الساعة استحال سمعان إلى بطرس "الصخرة" صاحب المفاتيح السماوية .

وجاء الإعلان الآخر عن يوحنا الحبيب ، الذى وهب له أن يعيش ليرى إسرائيل تتمزق ، والهيكل يحترق ويتهدم ، والعهد القديم يشيخ ويضمحل ، ليشرق نور عهد جديد فى المشارق والمغارب ، لجميع الأمم .

وظهر يسوع أيضاً فى الجليل ، كما وعد التلاميذ والنسوة ، لأكثر من خمسمائة (١كورنثوس ١٥ – ١٦) . فأعطاهم وصاياه التبشرية ، أن يكرزوا بالإنجيل معمدين باسم الآب والابن والروح القدس ، كل إسرائيل وسائر الشعوب ، معطيا عهده الثمين ، أنه ماكث معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر (متى ٢٨ – ٢٠)

كما كان هناك أيضاً ظهور إلهى له صفة شخصية ، رواه بولس الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس ، إن الرب قد ظهر ليعقوب ، الأسقف المسيحى الأول لأورشليم (١كورنثوس١٥-٧)
وهكذا خلال أربعين يوماً كان يظهر لهم ، يخاطبهم ويتحدث إليهم ، ويكسر معهم خبزاً ، فإنه هو " الذى أكلنا وشربنا معه بعد قيامته " (أعمال ١٠ – ٤١)

***

وفى النهاية أخذهم خارج بيت عنيا ، إلى الجبل ، وكانت وصيته الأخيرة أن يمكثوا فى أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى (أعمال ١ – ٤) ، روح الحق المعزى من السموات ، ومد يديه المباركتين ، ومنحهم هذه البركة التى لازمت الكنيسة كل الأيام . وأصعد عنهم ، وأخذته سحابة عن أعينهم المتشخصة إليه .. حتى يعود ! (لوقا ٢٤ – ٥١)

واليوم لا تزال قائمة بيننا وبين مجيئة المنظور ، تلك السحابة عينها، التى حجبت الفادى الحبيب بالعيان عن أنظار المتطلعين إليه . ولكن بصيرة الإيمان تخترقها ، فتراه عن يمين العظمة فى الأعالى ، آخذاً اسماً فوق كل اسم ومجداً فوق كل مجد . وقد أعطانا معزياً آخر ، الروح القدس ، يذكرنا بالناصرة وبحر الجليل وأورشليم وبيت لحم وبيت عنيا . وحيثما نجثو لنصلى إليه ، نكون مقربين فى حضرته الحبيبة ، مثلما اتكأ التلميذ الذى كان يسوع يحبه ، على صدره الحنون!

إن هدير الحروب وقلاقلها ، يهز العالم .. والنداءات إلى المتعة ، تغرق دعوة الرب الخالدة "اتبعنى" . وحتى هذه الساعة وفى وسط المسيحية المنظورة ، ترتفع ألسنة بالتجديف وعدم المبالاة بابن الله . ولكن سر الله لخائفيه ، هو بريهم عهده ، ويتكلم مع الذين ينصتون . وإلى أن تزول السموات والأرض ، سيجد أولاده وأحباؤه ، السلام والرجاء فى اسمه ، عمانوئيل .. الذى تفسيره " الله معنا " .

آمين

أعطيت شوكة !

" فقال لى تكفيك نعمتى ، لأن قوتى فى الضعف تكمل "(٢كورنثوس ١٢-٩)

قل أن يوجد فى التاريخ ، رجال كانت لهم صفات بولس الرسول . فقصة إيمانه وكرازته أعظم من أن أتحدث عنها ، وحروف رسائله وتعاليمه أكبر من أن أخطها بقلمى .

والفصل الثانى عشر من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ، يسجل صفحة عظيمة فى حياة هذا الرجل العظيم ، وسراً عميقاً دفيناً من أسرار حياته ، كإنسان متألم ومجرب !
كانت عبارته وحروفه تفيض بالألم ، غاية فى المرارة ، ولكنها أيضاً غاية فى العزم ، فى الثقة ، فى الرجاء . فأضافت إلى جهاده الحسن ، وإيمانه المحفوظ ، وسعيه الكامل ، إكليل بر مجيد لرجل تزكى فى تجربة قاسية .

فى حياته الخاصة شوكة ! والشوكة تحمل فى معناها ، الألم النافذ الذى يدمى ... فمنذ البدء خرج آدم من الفردوس يتردد فى أذنيه الحكم الإلهى ، "ملعونه الأرض بسببك .. بعرق جبينك تأكل خبزاً .. وشوكاً وحسكاً تنبت لك الأرض

كل أيام حياتك" (تكوين ٣-١٩،١٨،١٧) وكان العهد القديم يستخدم تعبير الشوكة للدلالة على الغضب ، والتأديب ، والأوجاع .
وحبة الحنطنة الرقيقة إذا بذرها الزارع فى أرض الزوان ، ينبت الشوك ويخنقها فيقضى على علامات الحياة فيها . وربنا له المجد فى أيام تجسده ، عندما أتت ساعة خروجه من العالم إلى الصليب ، ضفروا له الشوك وجعلوا منه إكليلا على رأسه ، متوجاً هامته بالأوجاع !

أما بولس فشوكته فى جسده . تلازمه كظله ، لا تفارقه طوال أيام الحياة والوجود . وسواء اتفق المفسرون أو اختلفوا حول معرفة طبيعة شوكته مرضاً أو عاهة فى البدن ، فى عينه ، أو بأعضائه ، أو فى باطنه .
وكانت ظاهرة للجميع ، تعذب فكره ، وتملأ بالضيق والحزن قلبه ، وتعطل عمل خدمته التبشيرية الثقيل . كتب مرة إلى الغلاطيين أن يشفقوا عليه قائلا "فيما بعد لا يجلب أحد على أتعاباً ، لأنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع" (غلاطية ٦-١٧) ، مشيراً بذلك إلى شوكته المؤلمة .

وقد جاء ذكر الشوكة عقب الحديث عن رؤيا مجيدة عاينها الرسول ساعة من الزمان ، وعبرت مثل اليقين الخالد ! إذ كان قد اختطف فى حالة لا يستطيع وصفها لبهائها وإشراقها ، إلى السماء الثالثة ، ليرى ما لم يخطر على بال بشر ،

ويسمع ويسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلمها ! وإذا بالرسول ينتقل من هذا الحديث عن بهاء الرؤيا ، وأمجاد السماويات ، إلى الحديث عن شوكة حياته وتجربة ضيقاته . ويذكرنا هذا على الفور بالمسيح .. حين ترك وراء ظهره مياه الأردن بعد عماده من يوحنا المعمدان ، حيث السماء المفتوحة ، والحمامة الهابطة من السحاب ، والصوت الإلهى "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" . فقد انتقل من بهاء المعمودية المشرقة ، إلى وحشة برية مقفرة جرداء .. مع الوحوش مساكنه ، والحجارة مسند رأسه ، أربعين يوماً مجرباً . فمن قمة المجد إلى وحشة التجربة!

وفى هذا تبدو حكمة التدابير الإلهية الدقيقة ، بتعيينه الزمان والميعاد والمكان ، كى يتزكى الصديق . وتمتحن النار الذهب الخالص ، فيخرج أكثر صفاء وأبرع جمالاً

***

وأبحث عن علة فى شوكة بولس الرسول . هل كان مقصراً فى خدمته ، متردداً فى كرازته ، متخاذلا فى افتقاداته ؟ أم حاد عن وصايا الله ، أو انحرف عن طريق المسيح ؟ وهل استحق تجربة جسده ، لنقص شوه خدمته الرابحة ؟

أقول على الفور بلسانه " أنا أفضل .. فى الأتعاب أكثر .. فى الضربات أوفر .. فى السجون أكثر .. فى الميتات مراراً كثيرة " (٢كورنثوس ١١- ٢٣) . هو أفضل فى الجلدات والرجم ، فى أعماق البحر والأسفار ، أخطار اللصوص ، أخطار اليهود والأمم والإخوة الكذبة . هو أفضل فى الأصوام والأسهار ، الأتعاب والصلوات واهتمام الكنائس ، "فمن يعثر وأنا لا ألتهب ! " (٢كورنثوس ١١ – ٢٩)

حارب الوحوش فى أفسس كإنسان ، وكان يموت كل يوم فى المسيح ، جرب مرة فوق الطاقة ، حتى يأس من الحياة ! (٢كورنثوس ١ – ٨)

قد استحق تاجاً وإكليلاً يتوج هامته ، لا شوكة تدمى جسده .. أقول هذا كبشر ، إذ أحكم فى الأمور حكماً عقلياً منطقياً ! ولكن تنتفى هذه أمام حكمة الله ومشورته . ياالعمق غناها ، فما أبعد أحكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء ! . كبعد المشارق عن المغارب ، وعلو السموات عن الأرض ، علت أفكارك ياربى على أفكارى ..

إن الضيقات غير العادية ، ليست بالضرورة جزاء لخطايا غير عادية .
بل قد تراها اختباراً ، وإعلاناً لفضائل ممتازة غير عادية .
والتجارب متنوعة ، فما نراه للحزن تراه أنت يارب للفرح .. ويدك الإلهية أيها الفخارى العظيم ، تنحت وتهذب آنية الكرامة المختارة !

ويعجبنى فى الرسول قوله "أعطيت شوكة فى جسدى" .

والتعبير فى نظرى بالغ الأهمية . لم يقل "أصبت" ، فالشوكة فى عينيه ليست مصيبة ! ولم يقل بُليت فالشوكة فى عينيه ليست بلوى ! بل قال "أعطيت" ، لأن الشوكة فى عينيه هى عطية ! تأتى من عند الله ، خالصة مثل الذهب ! فما أروعها طاعة نادرة المثال !

***

وإزاء الوضع المحير الذى وجد بولس نفسه فيه ، لجأ تواً إلى دستور المسيحية الأول ، ليمارس السؤال والطلبة والصلاة من أجل نفسه . فالصلاة دستور العلاقة الوثيقة بين المسيح وأتباعة ، حق مكتسب ، وحرية مجد أولاد الله. لست بعد عبداً بل ابناً ، ووارثاً لله بالمسيح (غلاطية ٤ — ٧) . فاسأل ما تنشاء ، واطلب ما تنشاء ، واقرع كما تنشاء !
وكمثل إبراهيم الذى دعى لله خليلاً ، أو موسى الذى صار له كليماً ، ارفع سؤال قلبك وصلاة نفسك ، إلى عرش النعمة . تعال انطلق معه فى الطريق محادثاً إياه ، ولا تكتم فى قلبك شيئاً . فى وقت مناسب أو غير مناسب ، وبلجاجة ، بكل مجاهرة ، ولا تمل . واذكر قوله لإبراهيم "لا أخفى عن عبدى إبراهيم ما أنا فاعله" . وهكذا بولس الرسول رفع إلى الله طلبته ثلاث مرات ، بإصرار وضراعة ولجاجة . انسكب أمامه ، بأنات لا ينطق بها ، أن ترفع التجربة عن جسدى كى أخدمك أكثر ، وأحب أكثر !

ويذكرنى هذا المشهد بذاك الذى واجهه الرب يسوع ، وليس العبد بأفضل من سيده ! ففى اللحظات الأخيرة من أيام تجسده ، جثا يسوع على ركبتيه فى البستان ، وصلى صلاة إلى الآب . وبينما هو يشرب الكأس ، ويُعتصر بالألم ، ويتذوق الهوان فى الضعف ، صاغها بالدموع والأنات للقادر أن يخلصه . ثلاث مرات ارتفع أنينه الخافت ، مع همسات الريح لأشجار الزيتون الشامخة ، التى عاينت شوكة تجربته ومرارة كأسه .. والتلاميذ فى سباتهم نيام غارقون !

وكما أن صلاة "ابن الإنسان" قد استجيبت بطريقة أخرى مجيدة ! إذ سمع له الآب من أجل تقواه "فنزل من السماء ملاك يقويه" ، محتملا صليبه ! ليذوق بنعمة الله ألم الموت عن كل واحد ، بعزم واحتمال واختيار ، وليجتاز بهذا إلى القيامة والمجد . كذلك أيضاً أعلن الرب لبولس الإجابة على سؤاله وطلبته ، قد أُعطيت شوكتك ، سمات الرب يسوع ، تحملها فى جسدك "كى لا ترتفع" ! فهذه هى الخطيئة القاتلة .

***

أليست الشياطين ملائكة عصت قديماً ؟ ارتفعت واستكبرت ، فهوت من الخدمة السمائية كالبرق الساقط إلى قتام الهلاك . وإبليس إن هو إلا ملاك أسقطته الكبرياء ، وهوى به الشموخ ! فالله ينزل الأعزاء عن الكراسى ، ويرفع المتضعين ! يجعل أولين آخرين ، وآخرين أولين !

قد أعطى نذير الهبوط للهاوية ، إلى كفر ناحوم المرتفعة للسماء ! (متى ١١ - ٢٣) ونبوخذ نصر ارتفع ، وافتخر بيمينه التى أقامت بابل العظيمة ، فطرد فى تلك الليلة عينها إلى البرارى ، وسقط عنه ملكه ! وهيرودس الملك انتفخت أوداجه بالافتخار ، إذ تملقه شعب جاهل ، وعظمته رعية غبية قائلين هذا صوت إله لا بشر ! فللوقت ضربة الملاك وصار يأكله الدود ومات (أعمال الرسل ١٢- ٢٢،٢٣)

الله لا يشمخ عليه ، التفت عن أولئك المرتفعين، فهبطوا للهاوية فى طرفة عين ! وليست هناك سوى هذه الواحدة القاتلة ، تقف بين العالم والمسيح ! كبرياء الجسد ، تعظم المعيشة ، ارتفاع الفكر ، شموخ الذات ، كرامة المعصية وعصيان العقل المستكبر المفتخر !

فتحب ذاتك ، وهو يريدك أن تبغضها ..
وتفتخر بعلمك ، وهو يطلب خلاصك بجهالة الكرازة ..
وتثق بعقلك ، وهو يطلب قلبك ..
وتشمخ بأعمالك ، وهو يطلب إيمانك .

كان ممكناً أن يسقط بولس فى هذه التجربة ، التى أودت بملائكة فى القديم ، وهو بشر لحم ودم ، فيتحطم إناؤه المختار ! من أجل هذا قال عن نفسه بروح الله ، إنه لكى لا يرتفع لطمه بشوكة فى الجسد . فدميت روحه حتى لا يفتخر إلا

بضعفاته ، وبصليب ربنا يسوع المسيح! (غلاطية ٦ – ١٤) وكان لسان حاله :
أمينة هى جراحات المحب ، وحلو المر من يديك الرقيقتين .. لتفنى حياتى
المتواضعة فى خدمتك وكرازتك ، لأجاهد الجهاد الحسن ، أحفظ الإيمان ، وأكمل
السعى . لأكرز بنفسى عبداً وبيسوع رب ومخلصاً ، فمن هو بولس أو أبولس أو
صفا ؟ خدام أمناء عليهم ضرورة ، استؤمنوا على وكالتها لحين عودة صاحبها .
كمثل زراع يزرع أو ساق يسقى .. وليس الزراع شيئاً ولا الساقى ، بل الله
الذى ينمى . (١كورنثوس ٣ – ٧)

***

وفى الخاتمة أنصت ، أيها العزيز لهذه الكلمات الرقيقة العميقة ..
" تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل " (٢كورنثوس ١٢ – ٩)
تكفى نعمتك كل الكفاف وتزيد ..
تكفى قوتك كل الكفاف وتزيد ..
تمجدان فى ضعفى ، وهوانى ، وآنيتى الخزفية .

القصبة المرضوضة ، تصير مثل عمود لا تتزعزع أساساته ..
وجسد الهوان ، يصير هيكل الروح القدس ومسكنه ..
آنية الخزف فى يد الفخارى ، صارت آنية كرامة ومجد ..
والضعف أصبح قادراً ، بالمسيح ، على هدم حصون !

واستجاب الرب لبولس بطريقة أخرى ، غير التى أرادها لنفسه كإنسان تحت الضعف . فاختبر ما هو عمل النعمة فى الشدائد والنقصان ، وتيقن أن الله قادر أن يحفظ وديعته إلى ذلك اليوم .

فامكث معى ياسيدى ..
فى موت أو حياة ، فى زيادة أو نقصان ، فى غنى أو عوز ..
فى قسوة أو ضعف ، فى راحة أو عناء ، فى صحة أو مرض ..
فى هذه جميعها ، تكفينى نعمتك وتزيد !
وتطغى قوتك ، وتفيض !
لا شئ لنفسى ، ولك أنت كل شئ ..
لا شئ لنا ، وأنت تملك كل شئ .

آمين

فهرست

الجزء الثانى

الدكتور نجيب عازر بسطروس

الوقت المقبول

الجزء الثانى

أجراس بيت لحم

" هذه لكم العلامة ، تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود " (لوقا ٢: ١٢)

هذه الذكريات والتأملات تلازمنى كل عيد ميلاد ، أتصورها بالخيال وحده ، وان كانت الحقيقة ذاتها أعجب من كل سحر وخيال ! الليلة التى لم يكن أسعد منها ، حيث المشهد العظيم. السماء تعانق الأرض ، واللاهوت متحدا بالناسوت فى الاحشاء المريمية الطاهرة ، ليحل بيننا !

وكانت العلامة المتفق عليها بين الملائكة والرعاة ، هى طفل .. وقماط .. ومذود !

لم تكن هناك عروش . ولا ثياب ناعمة ، ولا قصور أو ولائم فاخرة ! أين المهد الموشى بالمذهب الخالص أو العرش المزين بالبهاء والعظمة ؟ أين أبواق السادة وحلة الرضيع ، أين ولائم السعادة وضيوف الشرف ؟ لم يكن شئ من هذا ، بل مذود وقماط لمولود بيت لحم !

تعالوا معى أيها البشر ، فنتعلم حكمة الدهور من بيت لحم . فانه من بيت لحم الصغرى المتواضعة خرج ملك وديع ومتواضع القلب ، ليملك على عروش حية هى القلوب التى أحبته . ومن بيت لحم نبتت حبة الحنطة ، وصارت ثمراً متكاثرا فى المسكونة بأسرها ، وخبزا حيا باقيا للحياة الأبدية. ومنها أشرق للمجوس والرعاة كوكب رائع فى السماء ، كوكب الصبح المنير ، منيرا بنور ساطع المذود الصغير .

وُجد يسوع مضجعا فى القش المتواضع ليسند رأسه ويستريح. فكان هذا عرشه المحبوب ، ليملك منه على جماهير البسطاء والرحماء والمساكين بالروح ! وزارة أصدقاء أوفياء وشهود أمناء ، قطيع من الرعاة الساهرين ومن المجوس الغرباء . وسبح له جمهور من الجند السماوى ، تسبحة لم يستمع البشر حتى يومنا هذا ، إلى أنشودة لها مثل عذوبتها ولحنها ورقتها .

هذه كلها اذن كانت "العلامة" ! الجند السماوى ، الرعاة الساهرون ، قطيع الماشية ، بيت لحم الوديعة ، ثم المذود والطفل والقماط ! أيها الغنى ، هنا سيد الأغنياء افتقر ، كى يستغنى بفقره الملايين ! أيها الملوك ، هنا ملك الملوك ورب الأرباب ، بدا فى صورة العبيد ! أيها السادة المرتفعون ، هنا رب الأعزاء ، نزل عن الكراسى وجلس مع المتضعين !

أيها العالم الكبير ، هنا ولد من كانت له القوة أنه سيغلب العالم . أيها التاريخ ، فى المذود مولود استطاع أن يجعل كل أيامك تتبعه .. أيها الحضارات ، أعبرى وتلاشى أمام بيت لحم ، فكل حضارة تمضى وتذبل ، وتبقى بيت لحم إلى دهر الداهرين ! انسحقت المادة والشهوة وتعظم المعيشة ، تحت المذود . خزيت حين انصتت للملائكة ، وارتدت أمام ضيوفه المتواضعين من شهود عظمته .

أما أنقياء القلب والمساكين بالروح ، والودعاء وصانعو السلام ، فلهم فرح لا ينطق به ومجيد . فان مولود بيت لحم سيجد مكانا مريحا ليضجع فيه تحت سقوفهم ، وعلى موائدهم ، وفى أعماق قلوبهم الطيبة !

آمين

نبوات المجوس

"وقدموا له هدايا ، ذهبا ولباناً ومرا" (متى ٢ :١١).

هدايا عيد ميلاد يسوع ! قدمها له مجوس غرباء من المشرق ، لأنه إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله !

القوا الذهب عند موطئ قدميه ، والذهب تاج هامة الملوك متنبئين أن المولود البارع الجمال ، سيتوج ملكا وأى ملك ! أيها الطفل الصغير ، أنت أيضا ملك ! ملك الملوك ورب الأرباب ، الألف والياء ، البداية والنهاية ، الذى ليس لملكه زوال ولا انقضاء . وحتى إذا اضجعوك فى المذود الحقير ، وركبت الاتان ، ورفعوك فوق خشبة الصليب ، تبقى أيضا ملكا ! بلا مملكة فى العالم ، مفتقرا ليستغنى بفقرك الكثيرون ومقتنيا لذاتك الطاهرة ذهبا نقيا بخلاص البشر .

وقدموا لبانا عند قدميك المقدسنين ، متنبئين عن كهنوتك كاهنا أعظم على طقس ملكى صادق ، وخادما للأقداس والمسكن الحقيقى الذى صنعه الرب لا انسان . وكان لبانه أعظم مما تنبأ به المجوس الطيبون ، فان رائحة بخور زكية نقية ومقبولة ، قد ارتفعت حقا من اللبان المحترق ، من دمه المهرق المرشوش تحت ذبيحة نفسه المسكوبة .

وقدموا له مرا متنبئين عن مرارة حياته القصيرة ، فى أرض اللعنة والطغيان . ماذا كان ينتظرك أيها المولود فى مذودك الصغير ؟ مرارة نفسك الرقيقة ، وكأس

علقم لقلبك الكبير ، وجرعه من الخل لشفتيك الطاهرتين ! لم تكن فى حياتك ابتسامات بل صفحة طويلة من ألم وحزن ودموع . من أجلى ومن أجل كل نفس بشرية خاطئة . فى بداية حياتك أهداك المجوس مرا ، وفى خاتمة لحظاتك أهداك عالم الهوان مرا ، عندما قدموا لك خلا ممزوجا بالمرارة لتشرب على الصليب وقت أن ناديت "أنا عطشان" !

هذه كانت هدايك الثلاثة ، الذهب واللبان والمر .
ولم يكن للذهب مكان فى قلبك المتواضع ، وكان لبان كهنوتك روحيا خالدا . أما المر – والمر وحده – فهذا شربت كأسه بسرور ، قبلته بالرضا ، وتذوقته بالشكر !

آمين

يسوع مجرباً

"ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس" (متى ٤: ١)

أربعون نهاراً وأربعون ليلة ، قضاها يسوع فى جوع وعطش ووحدة قاسية ، فى شمس النهار الحارقة وزمهرير الليالى الباردة ، ومع الوحوش والضوارى . اقتاده الروح العظيم من شواطئ الأردن المجيدة إلى بقعة موحشة ، ومن الاعلان المجيد والمعمودية المباركة إلى القفر ، ومن السماء المفتوحة والمياه النقية والصوت الالهى يناديه " ابنى الحبيب الذى به سررت اختطفه الروح مباشرة إلى البرية ! وكان هذا الاعداد الروحى جوهريا ، فى بداية أعظم خدمة قامت بين البشر . فقد اعتزل يسوع بالروح فى شركة روحية وصلاة مع الآب ، ليعد ذاته لساعات تلك الخدمة الفائقة العقل ، وهناك سمحت المشيئة الالهية أن يجرب قبل خدمته الخالدة .

وقديما جرب آدم الأول فى بستان وفردوس ، فى كفاف وشبع وسرور واستقرار ، فلم يكن أمينا فى الولاء لخالقه وسقط فى التعدى . ثم جاء ابن الانسان آدم الثانى ، فأخذ مما لنا واشترك فى اللحم والدم مشابها اخوته فى كل شئ ما خلا الخطية . وجرب أيضاً لا فى بستان أو فردوس ، بل فى برية وقفر ووحدة ، وانتصر ليبقى فى النهاية بلا عيب أو دنس غير ممسك فى خطية واحدة . ليسقط الشر أمامه مثل البرق ، وليخلص المغلوب من سيادة رئيس

سلطان العالم ، جاعلا أعداده عند موطئ قدميه وساحقاً رأس الحية القديمة تحت عقبيه !

دخلت النار المحماة إلى المذهب ، فخرج منها المذهب أكثر نقاوة وجمالا . وعبرت غيوم قاتمة حالكة على السماء الزرقاء الصافية ، ثم جازت الظلمة وعادت السماء أكثر صفاء وروعة . هكذا كانت نفسه الصافية الطاهرة ، قبل التجربة وبعدها .

أربعون يوما وليلة ، كان مع الوحوش والضوارى فلم تضره! ان البراءة والوداعة قد انعكست على الضوارى ، فأماتت غرائز الوحشية والكراهية المتوارثة . فان تلك العداوة التى تأصلت بالوارثة بالغرائز ، قد دعت إليها القسوة والكراهية التى أدخلتها الخطية فى العالم . وما أكثر الأمثلة فى تاريخ الكنيسة لرجال الله الأبرار ، وقد سدوا بوداعتهم أفواه الأسود الكاسرة ، فرضيت بالجلوس تحت أقدامهم فى سلام ووداعة !

وإذ كان فى شركة عميقة مع اللاهوت ، ووجدانه وحواسه ملتهبة بهذه الخدمة الاعدادية الفريدة ، فانه تغاضى عن طعامه الأربعين يوما بطولها ، وفى نهايتها جاع . فتقدم إليه أبليس المجرب ، ليوسيفر المتكبر الساقط قبل الخليقة ، رئيس سلطان الهواء والحية القديمة فى الفردوس . تقدم صاحب الرئاسات قتال الناس منذ البدء ، الكذاب الأول والأخير ، الذى لا تهدأ روحه الهالكة عن الجولان فى الأرض والتمشى عليها ، ليفسد الحياة الهادئة ويشتكى على المختارين .

وكانت تجربته الأولى هى تجربة الحواس البشرية ، أضعف ما فى الانسان . فان اشباع الحواس البشرية ، كالجوع والعطش والنوم والتعب ، يمثل أضعف ما فى التكوين البشرى . وكان ظاهر التجربة - ان يصنع يسوع خبزا - يبدو بريئا وبسيطا ، فان اشباع الجوع ليس خطية . وقديما جاع أسرائيل المتعب فى البرية فأكل المن والسلوى ، وجاع ايليا فى البريا فمسه الملاك ليأكل ، وعطشت هاجر الجارية الهاربة فأقامها الملاك لتروى عطشها من البئر . وما كان عسيرا على يسوع أن يقيم وليمة طعام فى وسط البرية من الأحجار عينها ، لأجل شبع الجسد أما يسوع فكانت كلماته تقطر بالحكمة والعمق ، أن طعامه الأول أن يفعل ارادة الآب " فليس بالخبز وحدة يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله " .

أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ فالجسد منظر أما الروح فجوهر ، والجسد مخلوق للروح وليس الروح لأجل الجسد ، ولذلك كان من الضرورى للرب يسوع أن يضع الأمور فى نصابها . قال الشرير أن الخبز وحده يشبع الجوع ويقوت الحياة ، الخبز أولا وأخيرا . نأكل لنعيش أو نعيش لنأكل ، فلنأكل اليوم ونشرب لأننا غدا نموت . أما الرب يسوع فيقول " ليس بالخبز وحده " ، فان أكلنا لا نزيد وان لم نأكل لا ننقص . فلا تجعلوا آلهتكم بطونكم ، ولا تتخموا بالخبز البائد بل بطعام الحياة الأبدية . هذا هو الخبز الحقيقى الذى كل من يأكل منه لا يجوع ، وينابيع المياه التى كل من يشرب منها لا يعطش .

وهكذا انتصر يسوع ، فرفض أن يبيع بكوريته المجيدة لأجل أكلة.

+ + +

أما التجربة الثانية فكانت امتحانا لعدم الانحراف الروحى . جربه ابليس فى حواس بشريته أولا ، ثم إنتقل بعدئذ إلى طاقته الروحية . فقال له المجرب ان كنت ابن الله فالق نفسك إلى أسفل ، فانه مكتوب فى سفر المزامير انه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك ، كى لا يصدم بحجر رجلك. الظاهر برئ كالعادة ، لكنه يخفى خبثا ورياء لأنه يفصل كلمة الحق بغير استقامة . فالدافع الوحيد الذى كان المجرب يرمى إليه من وراء هذه الآية ، ليس تمجيد يسوع بل هو انحرافه عن خدمة التواضع إلى سيادة الكبرياء والذات.

كان الشرير يطلب آية ، ولا تعطى له آية ! فان مجد يسوع الحقيقى بالآلام لم تأت ساعته بعد ، وليكون للمؤمنين بآياته وتعاليمه حياة أبدية باسمه . لذلك أجاب يسوع ، مكتوب ايضا " لا تجرب الرب الهك " . هذا وقد جربه الشرير مرة أخرى على الصليب بنفس الوسيلة ، بنداءات الجموع العابرة "إن كنت أنت ابن الله فأنزل عن الصليب لنرى ونؤمن". ولكن مثل هذه الآية كانت ستعطل مقاصد الفداء الازلية وخلاص البشرية ، الذى كان محتما فيه موته على الخشبه وقيامته فى اليوم الثالث .
وانتصر يسوع ثانية حين فضل الصليب وبقى أمينا للمقاصد العليا فى خدمته وآياته

+ + +

ثم جربه أبليس ثالثا فى رسالته وأهدافه . فمن قمة جبل عال شاهد يسوع فى لحظة فى طرفة عين " جميع ممالك العالم ومجدها "! عاين حضارة مصر وشموخ بابل ، وسلطان آثينا وكبرياء روما . لمس أمجاد الشعوب والأمبراطوريات الماضية ،

والسيادات والرئاسات الآتية ، كل الحضارات القديمة والمعاصرة والحديثة وعظمتها عبرت تحت ناظريه ، وهو مجرب !

وكان عليه آن يختار لنفسه أحد أمرين لا ثالث لهما ، إما أن يملك ويسود بالأمجاد الأرضية التى عاين بهاءها ، فيعطيه إله هذا الدهر ملكا أرضيا ورئاسة على ألوف الملايين ، فى الشعوب والممالك . واما أن يختار لنفسه خدمة متواضعة ، كملك بلا مملكة فى العالم ! عرشه على الصليب ، وتاجة الشوك ، صولجانه القصبة ، وعلامته " الناصرى ملك اليهود " . أتباعه من الضعفاء والعامة والمزدرى بهم وغير الموجود ، منظرا للعالم والناس والملائكة ، ومن المساكين بالروح والرحماء والحزانى ، والودعاء وأنقياء القلب وصانعى السلام والمضطهدين لأجل البر !

كان عليه أن يختار احدى المدينتين ! وملكا واحدا من المملكتين ! وهنا انتصر يسوع فيما فشل فيه آدم فاختار لنفسه المملكة الثانية ، بكل أشواكها وبساطتها وتواضعها ، ورفض الملك الأرضى وسيادة أهل العالم ! فضل بالحرى أن يذل مع شعب الله ، معلنا أن " مجدا من الناس لست أقبل " فاستطاع حقاً أن ينهر المجرب بقوة " أذهب عنى ياشيطان فانه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " .

+ + +

واليوم لازال أبليس يجرب الانسان الفقير بالمال والثراء والمريض بطول البقاء ، والمحتاج بالربح ، والجائع بالخبز ، والمغلوب على أمره بالشهوة وتنعمات

المعيشة . يجرب الشيطان أهل الأرض كلها ، لقاء سجودهم لسيادته ورئاسته ، ولكنه لا يعطى الراحة والسلام والبر ، لأنها ليست له !
وماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟

آمين

من الأعماق

" أبعد إلى العمق "　　　　(لوقا ٥ : ٤)

هناك عند شاطئ البحر سارت قدماه وجموع من الناس تتدافع على الرمال لتنصت إلى عبارات النعمة فى فمه ، بسلطان طاهر طغى على رياء الكتبة ونفاق الفريسين .

أما هو فثبت على عينيه على سفينتين للصيد على وجه المياه ودخل أحداهما ، ووجه قلبه الكبير إلى الرجال الأربعة الواقفين عليها . وتأمل واحدا منهم بالذات كان يبدو عليه الكفاح والضيق ، وهو يغسل الشباك الفارغة ويعرضها للشمس اللافحة جبينة المقطب وعرقة الغزير!

نظر المعلم إلى سمعان صاحب السفينة نظرة فاحصة عميقة ، نظرة من بيده آمرنا ، العالم بأفكار القلب ونياته ، والذى كل شئ عريان ومكشوف أمامه ! وبهذه النظرة الطيبة الرقيقة التى تبادلها معه ، علم يسوع بحاجة سمعان إلى اليد الالهية ، وللوقت قدم له رسالة الانجيل العظيمة قائلا : " أبعد إلى العمق .. والقوا الشباك للصيد " !

عبارة كلها سلطان وجلال وثقة ! وبهذه العبارة أيضا يوجه الرب إلينا رسالته اليوم وإلى هذه الساعة ! فكما أن الحياة البشرية هى ثمرة عرق الجبين وكفاح ومشقة ، كذلك حياة الروح واقتناء النفس هما ثمرة تعب ومجاهدة كثيرة . مثلها مثل سفينة صغيرة للصيد ، وسط بحر صاخب وليل مظلم ، ومثل القاء شباك

كثيرة فى المياه . بين جذب وشد ، أمل ويأس ، نجاح وفشل ، شبكة مثقلة بالصيد الوفير ، أو بفراغ وفشل مرير .

وهذه هى قصة اقتناء النفوس وخلاصها ، قصة سفينة حياتك وشبكة رجائك . هى قصة صيد النفس البشرية من محيط العالم إلى شبكة ملكوت السموات العظيمة . تلك التى ألقاها الرب يسوع بيديه لبصطاد نفوس الناس من كل الشعوب فى المشارق والمغارب ، برسالة الصليب واستنارة الانجيل المفرحة !

فان أردت أن تجد نفسك وتتصيدها من ضلال بحار العالم' وان أردت اصطياد نفوس الآخرين أيضا إلى ملكوته' فاستمع إليه وهو يقول بلطف " أبعد إلى العمق. والق الشباك " إلى العمق أولا بسفينة صيدك الصغيرة ، فليس مكانك المياه الضحلة الراكدة عند الشاطئ' بل المياه العميقة المرتفعة الجارية ، فى عمق الحياة وعمق العمر وعمق الاختبار . فاقتناء نفسك ليس أمرا سطحيا ، بل خبرة عميقة وسط أمواج الحياة الانسانية . وإذا اجتزت إلى عمق المياه وعمق التجربة بسفينتك الصغيرة ، فهناك الق الشباك وانتظر الصيد ، وليكن لك كحسب ايمانك. وكيفما كان النصيب ، فلا تقل فى نفسك إلا " آمين يارب".

وقد أجاب سمعان بضيق واضح وبلهفة ، " يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نمسك شيئاً " ! ما أقسى هذه الحياة ، وما أكثر شقاء الأرض الملعونة . قد تزرع بجد واجتهاد ، قد تفلح وتغرس وتقلع ، ثم تنتظر الحصاد برجاء . ولكن وأسفاه يكون زوانا ، زهرا يابسا ، وعشبا فنى جمال منظره !

ولهذه الشكوى نظير فى حياة الروح واقتناء النفوس فقد تتعب الليل كله وسط الظلام والريح والبرد ، وتبقى شباكك فارغة . قد تسهر مع الرسول فى

أصوام فى أتعاب ، فى صلاة فى عبادة ، فى أسفار فى ضيق الجسد والروح ثم تحس كأن الله تخلى عنك ، وتباعد ليتركك وحيدا ، وتبقى سفينة صيدك تائهة فى بحر واسع تدفعها الريح حيثما تشاء!

" ولكن ! على كلمتك ألقى الشبكة " !

أيها العزيز' ان كنت تشعر باحساس سمعان ، فى سفينة صيدك المتجولة فى غربة العالم هذا ، فلا تيأس لأن الله لم يعطنا روح الفشل . بل ردد بطاعة وعزم وأمل ورجاء، " مهما كان نصيبى فلن أقول ألا آمين ، وعلى كلمتك ألقى الشبكة".

فان الرب قريب ، إلى جوارك فى السفينة وان كنت لا تراه وتبصره ، هو ساهر معك فى الليل ، يختبر طاعتك وصبرك وأناتك واحتمالك ، كى يتمجد فى النهاية ايمانك وتتزكى نفسك !

وتعتريك حينئذ الدهشة وأية دهشة ، مع كل فى الذين كانوا فى السفينة . صارت الشباك تتخرق من كثرة الصيد الوفير ، حتى أنه من ثقل الحمل ابتدأت السفينتان فى الغرق! وعندئذ صاح سمعان وهو يجثوا على ركبتيه " اخرج يارب من سفينتى لأنى انسان خاطئ " !

وهذا سر عظمة ذلك الصياد البسيط أدرك ببساطة أن الفشل وعدم اقتناء صيد طوال الليل ، مرجعه الأول والأخير أنه إنسان خاطئ ، أمام المعلم الطاهر الكامل والممجد . وهناك فى السفينة الصغيرة ، كان سمعان يعترف الاعتراف الحسن ، فى النور الذى يشع من طهارة المعلم الجالس عند الدفة . فاستحق باعترافه أن يحصد مما زرع ، من تعب نفسه المحتاجة ومن كفاح ساعديه المنهكين

! وامتلأت السفينة بعد فراغ ، إذ أمسك كل شئ من عطاء الذى يعطى بالسخاء ولا يعير !

السر العظيم .. أن يسوع كان فى السفينة !

وسفينة صيد النفوس أيضا ، قد يصل بها الأمر إلى ما وصلت إليه حال سمعان . فاذكر معصيتك واذكر طهارته ، اعترف بإثمك وتمسك بقداسته . اعترف الاعتراف الحسن أمام السماء والأرض ، ان أخطأت إلى السماء وقدامك ، فارحمنى ياالله لأنى خاطئ .

وبهذه الطاعة المتواضعة ، وبهذا الاعتراف الحسن ، وبهذا الايمان بيسوع ، وبهذه الحاجة الصريحة إليه فى السفينة لا تعود تهتم وتضطرب بأمور كثيرة ، لأن الحاجة هى إلى واحد . هو يملأ الشباك سمكا ، ويملأ الجرار الفارغة خمرا جيدة . يعوضك عن السنين التى أكلها الجراد ، ومهما كانت الظروف هو يبقى أمينا لن يقدر أن ينكر نفسه !

فألق إذن شبكة حياتك على اسمه .. لتخلص نفسك ونفوس الآخرين خلاصا أبديا من شوكة المعصية ، من بحر النجاسة ومياه العبودية ، وتأتى إلى شبكة جديدة " شبكة ملكوت السموات" . وحينئذ لن تصرخ عند قدميه ، طالبا إليه الخروج من سفينتك الصغيرة لأنك انسان خاطئ !
فمن تلك اللحظة قد دخل المسيح سفينة حياتك العظيمة ، لتتبعه إلى مجده الأبدى ولاهوته المشرق .

سر البركة

" يسوع رأى جمعا كثيرا فتحنن عليهم "　　　(مرقس ٦ : ٣٤)

هذه المعجزة العظيمة ، اشباع الآلاف بالخبز والسمك ، هى آية البركة المستمرة وخدمة العطاء الوفير . خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال يسيرون وراءه ، ولا يدرون إلى أين المسير ، مبهوتين من كلمات النعمة التى كانت تخرج من شفتيه . وفى نهاية المسير الشاق الطويل ، كان الجمع الكبير فى أرض قفر خالية ، وقد بدأت شمس النهار أن تميل . وجزع التلاميذ اشفاقا على قطيع منطرح عند سفح الجبل ، فقالوا للرب اصرف الجموع ، فليس لنا فى هذا الموضع طعام ليأكلوه .

وهذه الصورة لجموع خائرة منطرحة من الجوع والعطش والتعب ، وشمس النهار تغيب وراء التلال ، هى صورة الاشفاق . فماذا أنت فاعله أيتها السماء المباركة بهذه النفوس المطروحة ؟

هذه العزائم الخائرة ، القلوب اليائسة والبطون الخاوية ؟ جموع كلها أنين وتوجع وتأوه ، وكثيرون من المتعبين وثقيلى الأحمال ، الجميع يفتشون عنه ويلزمونه بالمكوث معهم ولو يوما واحدا فى الحياة ، فالحاجة ملحة إلى ذلك الواحد الوحيد المبارك . هذا كان الموقف عندما طلب التلاميذ إلى يسوع أن يصرف الجموع إذ ليس عندهم ما يطعمونهم اياه !

أما يسوع المسيح فلم نعرفه هكذا . دعوته مباركة ، وخيره كثير ، ونعمته مجزية . يعطى الكيل الفائض وكلمته الغنية بغنى لا يستقصى لا ترجع إليه فارغة ، من يقبل إليه لا يخرجه خارجا . الجياع والعطاش إلى البر يشبعون ويرتوون لا يعرف الاجابة بالنفى ، بل كل ما فيه " نعم نعم وآمين " .

أنه قادر أن يعد مائدة فى برية قاحلة ، ويقيم وليمة وسط أرض جرداء . اذكروا أنه أرسل المن من السماء ، مثل طعام الملائكة ، وأكل منه بنو اسرائيل فى البرية أربعين سنة ، حتى جاءوا إلى أرض عامرة . فتعالى أيتها النفس الجائعة وهو سيحيل المجاعة شبعا ، والضعف قوة ، فلن ترجعى فارغة من بيت الرب . من كنيسة الايمان !

واليوم يعزز يسوع نظريته العظيمة ، نظريته المسيحية عن البركة والعطاء . ونحن نلمس عملها كل يوم فى كل شئ تحت عيوننا ، ومع ذلك نفكر بعقلية التلاميذ يومئذ ببلادة وعجز . هى نفس عقلية القرن العشرين المعقدة ، التى لا تفهم سر البركة وكيف أنها وراء كل شئ فى الحياة .

وعندما أجرى الرب المعجزة ، استخدم امكانيات البشر لاتمامها . كان فى سلطانه المعجز أن تتم كل فصول المعجزة بغير حاجة لأحد ، ولكنه استخدم الصبى ، والتلاميذ ليخدموا خدمة البركة . وجد الصبى بأرغفة الشعير المتواضعة والسمكتين ، فباركه وبارك طعامه واستخدمه أساسا صالحا للمعجزة العظيمة . كما استخدم التلاميذ لينظموا الجموع فى صفوف وترتيب ، وفى توزيع الطعام ، وفى النهاية لجمع الكسر المتبقية من الخدمة .

وهذا المدرس جليل ، ان روح المسيح تعمل فى تلاميذه ، وان قوته فى الضعف تكمل . هو يعمل فى رسله ويتم كرازته بخدمة احبائه ، فان مسرة خدمته فى بنى البشر . جعل للخدام فى قانا الجليل أن يملأوا الجرار الفارغة ماء ، ليحيله يسوع إلى خمر فى المعجزة الأولى . وجعل للتلاميذ أن يتكئوا الجمع ويناولونه الطعام ، وعلى يايرس وامراته أن يطعما الصبية بعد اقامتها من الموت . وهو نفسه يأمر الحاضرين أن يرفعوا الحجر أولا عن قبر ليعازر !

لخدمة البشر كثيرا ما تكون الوسيلة لاتمام عمل روح القدس . وقد تتعطل الكنيسة لعدم وجود خدام صالحين ، للقيام بالحصاد . لذلك لا تتعجبوا إذا قلت ان الخادم الذى لا يعمل بل يطمر وزنته فى الأرض ، يعطل خدمة يسوع المباركة ، ويمنع وليمته عن الجياع والعطاش إلى البر .

+ + +

وفى نهاية المعجزة بعدما أكل الجميع وشبعوا ، فضلت أثنى عشرة قفة مملوءة ! نعمة كافية جدا ، أكثر كثيرا مما نطلب أو نفتكر ، ما تخزنه السموات من البركات الروحية الممتازة لأولاد الله . بركاته للعالم كله ، بركاته كل الأيام .

كما نتأمل أيضا أنه لم يترك كسر الخبز مطروحة فى البرية ، لتداس من الناس ، بل أمر أن يجمعوها كى لا تضيع البركة من أحد . وهكذا نحن أيضا لا يصح أن نفرط فى البركات الروحية ، والمواعيد التى اختصتنا بها نعمة الله.

لا تبيعوا البكورية ، ولا تتركوا فتات خبز النعمة تسقط تحت موائدكم لتضيع وتتبدد . بل احرصوا على كل البركة ولأجل باقى الأخوة والمحتاجين إليها . حتى كسرة خبز واحدة أو كأس ماء بارد ، لأجل امتداد ملكوت السموات ومجد الكنيسة .

إتبعنى

" فقام وتبعه "　　　　(متى ٩ : ٩)

عبرت ظلاله الحبيب على متى اللاوى جالسا عند مكان الجباية ، فأرسل إليه الدعوة العليا السمائية " اتبعنى " ولوقته ترك كل شئ وتبعه ! لم يكن متى معاندا للدعوة العليا ولم يستشر لحما ودما ، بل تبعه بلا قيد ولا شرط ، حاسبا عار المسيح غنى أفضل من خزائن المال .

ترك كل ماله وجبايته وأملاكه ومقتنياته ، سائرا فى خطوات رئيس الايمان ومكمله ، وكل ما كان له ربحا فهذا قد حسبه لأجل يسوع خسارة ونفاية لأن كلام الحياة الأبدية هو عند قدميك المباركين ياربى والهى .

وفى هذه القصة التى كتبها لنا الانجيل عن نفسه ، تأملات روحية غنية ، عن الدعوة وعن الاستجابة .

أما الدعوة فظروفها عاجلة خاطفة ومرسومة العين الالهية العميقة تبحث عن آنية خزفية متواضعة ، مختفية مهملة ، لتطهرها وتعدها آنية كرامة ومجد . والأصابع الالهية تختار لها جبلة ضعيفة ، تتعهدها وتصوغها بين يدى الفخارى العظيم كحجر مختار كريم كثير الثمن فى عينيه!

كان متى اللاوى واحدا وسط ملايين ، انسانا زائغا بين صفوف الجموع الكثيرة التى عبر بها الرب يسوع ذات صباح. كان يدين بالمبادئ السائدة ، ولا

تبدو عليه مؤهلات حسنة خاصة ، بل على النقيض كانت صفاته الردئية ظاهرة للجميع. فمن فم الأرملة واليتيم كان يأكل ، وقد جمع ذهبه من صراخ أجير الأرض الصاعد للساكن فى الأعالى . ولكن جاءته الدعوة العجيبة ، اختيار النعمة العميقة الرقيقة التى تسير وفق الناموس الالهى ، "أرحم من أرحم ، وأتراءف". وكقول الرب " لستم أنتم اخترتمونى بل أنا أخترتكم " .

من الخيام المتغربة دعاهم ، ومن السقط والازدراء رفعهم إلى المجد والكرامة ، وهكذا عمل النعمة ، عطيته ، أن تختار الجهال والمزدرى بهم وغير الموجودين ، لتبطل الموجود وتخزى حكمة الحكماء ، وترفض فهم الفهماء وسيادة الأقوياء . لينتفى كل افتخار بشرى أمامه ، وليبطل كل علم وسيادة ورئاسة وسلطان ، ويبقى اسم يسوع – واياه وحده – يعطى مجدا ورئاسة ، وتجثو له كل ركبة ويعترف به كل لسان . كان هذا طريق الرب عندما دعا لنفسه رجالا من هذا الطراز ، وأقامهم رسلا يحملون اسمه بين الشعوب ويرفعون راية انجيله إلى أقاصى الأرض .

هو الذى نادى ابراهيم أن يترك أهله وعشيرته ، ويتغرب أيام حياته على رجاء كنعان . ومن البطن استدعى يعقوب ، واختصه بالبركات والمواعيد ، دون عيسو . ومن مصر اختار موسى الهارب من وجه فرعون ، والذى كان ثقيل اللسان ، ليقود الشعب إلى أرض الوعد . ومن وراء القطيع وجد لنفسه الصبى داود ، الابن السابع لأبيه ليصير ملكا ، ويأتى من صلبه بالجسد الملك المسيح . هو رأى الصخرة فى سمعان ، صياد السمك المتواضع ! ووجد آنية

مختارة للأمم فى شخص بولس الطرسوسى ، بعدما كان مضطهد الكنيسة ومتلفها بإفراط حسب مذهبه الفريسى الأضيق !

ماذا نقول فى هذه النعمة ، وكيف نفهم هذا الانجيل ؟
إلا أن نردد " ياالعمق غناك وحكمتك ، ما أبعد أحكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء " ! لقد جاءت ساعة السرور ليخفى يسوع سره عن الحكماء والفهماء ويعلنه لمختاريه من البسطاء والضعفاء . ليدعو متى العشار من مكان الجباية لخدمه الرسل ونصيب القديسين والمفديين ، وليتكئ معه على مائدته السمائية ويأخذ قرعة مع الاثنى عشر فى ملكوته . آه أيها الروح المجيد ، وأنت أيتها النعمة الجارفة التى لا تقاوم ! تنادين " قبل أن حبل بك فى البطن دعوتك ، ومن البطن قدستك " !

فهل تسمع همسته الرقيقة هذا الصباح " تعال اتبعنى " ؟ وهل تحس عبوره المبارك ، وتنصت لصوت رعايته الحنون . فان هذه المدعوة الخالدة بقيت على قوتها وسلطانها ، كما كانت منذ دعوة ابراهيم الأولى إلى كنعان . ما زالت دعوته العليا سمائية ، وهمسته عذبة روحانية ، وكلمته " اتبعنى " حية وفعالة .

هى تعلو على كل الدعوات الأخرى التى يدعوك إليها حكماء الأرض ، أو نداءات الجسد ، أو رفقاء السوء . هى أعلى صوتا وأعمق قوة من المدعوة إلى العلم أو الحرب ، إلى اللذة أو التسلية ، إلى الاباحية أو الالحاد ، أو الفلسفات المنحلة . هو يدعوك وأنت على قارعة الطريق الصاخب ، وأنت فى

مكان الجباية والصرف ، ومن الملهى والخمر والخلاعة وعدم المبالاه ومن بيت الحزن وبالوعة اليأس المفرط . يناديك وأنت فى الكنيسة ، وحتى على فراش الاحتضار ، وحيثما تكون فى كل مكان يسمع صوته ، " تعال اتبعنى " .

+ + +

أما عن الاستجابة فنجدها فى تلك العبارة عن متى ، أنه ترك كل شئ وقام وتبعه . فان كلمات يسوع نافذة إلى قلوب سامعيه مباشرة ، فالقلب الحجرى ينصهر تحت رحمة نظراته العميقة ، كما صهرت نظراته نفس اللص اليمين وأحالته إلى قديس القديسين . وعجبا نرى محبة المال والطمع ، والاغتصاب والرشوة ، والسرقة والشهوة ، وغرور الغنى والظلم ، تلاشت كلها ! ليسود عوضا عنها الايمان والرقة واللطف والسلام ، والرحمة والوداعة ! الأمور الأولى قد مضت ، والكل قد صار جديدا . خلع الجسد العتيق مع أعماله ، ولبس الجديد الذى يتجدد للمعرفة بحسب خالقه .

ترك متى كل شئ ! هل تشعر بعمق هذه التضحية ، وعظم هذا الاختيار ؟ أمواله وثراءه ومقتنياته وتعب العمر كله ، تنازل عنه للفقير واليتيم والضعيف ، فى لحظة فى طرفة عين . وتبعه ... لتخفى نعاله وتبلى أقدامه وتتمزق ثيابه ، ليتغرب ويفتقر ويتعب ويموت شهيدا !

وأريد أن أتحدى حكماء هذا الدهر وفهماءه وعلماءه ، من منهم استطاع أن يغير مخلوقا بهذه الصورة ؟ من فهيم يقدر أن يفعل ذرة مما فعله يسوع فى متى

وبطرس وبولس وتوما ؟ من يقدر أن يجعل غنيا يتنازل عن أمواله الكثيرة ويغير مبادئه ، ويقلب رذائله رأسا على عقب فيجعلها فضائل وامتيازات عجيبة وآيات لا يفعلها البشريون ؟ كيف صار السحرة يحرقون كتب السحر ، والزناة يبشرون بالطهارة والعفة ، والأغنياء يلقون أموالهم عند قدميه ، ويفتقرون بسرور ؟

حقاً ان دعوة المسيح الخالدة " اتبعنى " لن تغرق فى ضجيج الحرب والتهديد ، لا فى المؤتمرات والتجديفات ، ولا بالالحاد والرذيلة والارتداد . بل هى تقوى كل يوم لتضم إلى جوار متى العشار ، كثيرون من المختارين والمفديين والمخلصين .

الخاطئة والحجارة

" من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولا بحجر " (يوحنا ٨ :٧)

كان يسوع مبكرا في ذهابه إلى الهيكل ليعلم الشعب . وكان الكتبة والفريسيون مبكرين إلى هناك أيضا ، ولكن بأرجل سريعة إلى سفك الدم ! لم تكن صلاة فى أفواههم . بل حكم صارم بالموت والرجم ، ولم تكن ديانة فى قلوبهم بل إدانة قاسية ، ففى طرقهم سحق ، وفى خطواتهم هلاك .

وكانت الضحية بين أيديهم الخشنة ، يتقاذفونها فى عنف وقسوة ، وهى ترتعد وترتجف من الخوف والرعب . امرأة امسكوها وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى أوصى فى الناموس ، وصية واحدة ، ان مثل هذه ترجم .

وأطرق يسوع إلى الأرض ، وفى رأسه أفكار كثيرة . كان حزينا من أجل قساوة قلوبهم ومكرهم وتجربتهم اياه . وكان حزينا من أجل المرأة الخاطئة وموقفها الشائن . ولكن هذه الخطيئة الدنسة لم تقدر أن تغير قلبه أو تحرف محبته الملوكية ، فانه لا توجد أى خطية تقدر أن تفصله عن محبة البشريين !

وللوقت رفع رأسه فى عزم أمام وجوه الشاكين الصارمة ونظراتهم المتسائلة الصاخبة ، ليختار بدون تردد انجيل النعمة ، انجيل الرحمة والمسامحة . لتسود

بالمسيح الرحمة على الحكم ، والنعمة على الوصية ، والروح على الحرف " لأن الناموس بموسى أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا " .

موسى أوصى أن مثل هذه ترجم ، أما أنا فأقول " اذهبى بسلام ولا تخطئى أيضا " .

وفى تحليل هذه الواقعة تأملات غنية ، وتعاليم معزية للنفس الانسانية . نرى فيها معاملة البشر للبشر . ومعاملة الوصية للبشر ، ثم معاملة المسيح للبشر . كيف يواجه البشر الخطيئة ، ويواجه الناموس الخطية ، ثم مواجهة النعمة للخطية .

+ + +

أما معاملة الانسان لاخيه الانسان الخاطئ فمحزنة ، والطريقة التى يواجه بها البشر الخطية تدين البشرية وتدمغها بالعار . الفريسى يقول فى كبرياء بره الذاتى " أنا لست مثل ذلك العشار ولست مثل سائر البطالين السارقين الزناه " ! والجمهور الصاخب فى ذلك اليوم كان يضم رجالا من هذا النوع ، حيث غيرة كاذبة ، وكرامة مصطنعة ، وأنانية ذاتية مكروهة فى عينى الرب .

وهذه القصة تمثل صورة واقعية لما صارت إليه البشرية حيث مأساة تناقض مشين ، أن المجتمع يدين وهو بالأحرى مدان ! وما أقسى الوقوع تحت ارشاد الخطاة وسلطانهم ، حين يدين المجتمع الخطية وهو عبد لها ! يحكم على تابعيه وهو بأسره يئن ويتوجع تحت ثقل خطايا جسيمة تجثم عليه!

انها زانية ، ولكنه حسب تفسير السيد المسيح قد يكون كل فرد زانيا بالعين أو بالفكر المستور تماما كما بذات الفعل ! والمجتمع الذى يدين الزناه فى الظاهر ، هو نفسه الذى يحمى الزنا والدعارة ويدعو إليها فى الخفاء ! وإلا فما هو تفسير هذه الاباحية المستهترة والعراء الفاضح والتحرر الحسى والفكرى والجنسى ، بكل دعاية وصورة ووسيلة ، باسم التطور والتحرر والتمدين والعلم . ؟

أما عن الوصية بالنسبة للخطية فى ناموس موسى . فأنها بحرفيتها ترجمها بالحجارة لتستأصلها وتسحقها . وماذا يقول الوحى الالهى بلسان بولس الرسول إنه قبل الوصية كنت عائشا قبلا ، فلما جاءت الوصية عاشت الخطية ومت أنا !
وهكذا صارت الخطية بالناموس ، فبالوصية صارت معرفة الخطية ، وبالوصية صارت خطيتى خاطئة جدا . ودينونة عادلة وقاسية .

وقد كان جبل الوصايا سيناء القديمة ، ملموسا ومضطرما بالنار . فيه ضباب وظلام وزوبعة ، وصوت كلمات رهيبة ، حتى قال موسى نفسه " أننى مرتعب ومرتعد " ! فما هى المنفعة فى موسى اذن ؟ انه مؤدبنا إلى المسيح . يغلق علينا جميعا ، لنتجه نحو وسيط العهد الجديد ، وإلى جبل صهيون مدينة الله الحى . كان فى الناموس ذكر ذبائح تقدم مرارا كثيرة ، لكنها لا تستطيع أن تنتزع الخطية ، سواء خطايا الشعب أو خطايا الذين قدموها . وهكذا الناموس كان ظلا للخيرات العتيدة ، فلما جاء المسيح لم نعد تحت مؤدب بل تحت النعمة .

+ + +

أخيرا نتأمل كيف واجه يسوع الخطية وعامل الخطأة ؟ نجد كلمات النعمة العميقة الغنية قد خرجت من شفتيه المباركتين بالناموس الملوكى الجديد ، " من منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر " . أمام عينيه انكشفت الخطيئة فى معناها المحزن وقبحها المشين ، كل الخطايا السالفة والحاضرة والمستقبلة كانت مقروءة واضحة أمامه ، خطايا الجميع . وبدأت أنامله الرقيقة تخط على التراب كتابات وحروفا وتواريخ خطايا كثيرة طواها النسيان ، ولم يطوها غفران ! وإذا كانت المظاهر تخلق من البشر شجعانا ، فان الضمير يحيل أشجع الشجعان جبانا ، لا تقدر ساقاه أن تحمله . فالأفكار والضعفات التى تخفيها ونتستر عليها ، تصبح ذات هيئة منظورة قبيحة ، وتتكلم فى السماء بصوت مسموع ! وهكذا خرجوا جميعا تبكتهم ضمائرهم ، الشيخ أولا والشاب أخيرا !

وبقى يسوع ، والمرأة فى الوسط وحدها ! كان هو الواحد الوحيد الذى بلا خطية ، وله الحق وحده أن يرميها بحجر ، فرماها بالسلام الفائق ! " أنا لا أدينك ، فاذهبى ولا تخطئ أيضا " . وانتقلت البائسة على الفور من غضب الانسان إلى راحة شعب الله !

كيف كان ممكنا أن يتم ذلك ؟ انه لم ينقض ناموس موسى بل أكمله ، ولم يسقط حرف واحد من الوصية أو جزاؤها ! فانه بعد قليل من الزمان ، كان يسوع مزمعا أن يأخذ لنفسه نفس المكان الذى أخذته المرأة ! جروه أمامهم فى وسطهم أمام ولاة وحكام ، وكانوا يشتكون عليه أنه ينبغى أن يموت . وهكذا خرج حاملا الصليب ، حاملا جميع خطايانا فى جسده ، وهو مجروح

ومسحوق لأجل آثام العالم . وفى هذا كان كمال الوصية ، فى الجسد المكسور ، والجنب المطعون ، والدم المسفوك ، والروح التى أسلمها ، والموت الذى تذوقه من أجل الزانية ، بذل ظهره للضاربين ووجهه لم يستر عن عار البصاق . من أجل القتله ، علقوه على جراحات عظيمة مع الأثمة . من أجل كل خاطئ ، أطلق بيلاطس باراباس القاتل وأسلم يسوع ليموت .

واليوم ، أقف فى الوسط وأقرع صدرى ، لأنى انسان خاطئ . فى مكان الزانية والعشار أقف واعترف ، انى أول الخطاة إلى السماء وقدامك . مصليا من أجل القلب المنكسر والروح المنسحق ، ألا ترذله ياربى . متكلا تماما على نعمتك التى تبرر الفاجر ، ومتعلقاً بصليبك الذى انسكب عليه دمك الطاهر . لايسمع فى النهاية ميعادك المعزى وعبارتك الرقيقة' " إمض بسلام . ولا أنا أدينك "

الإبن الضال

" هذا كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد " (لوقا ١٥ : ٣٢)

الاصحاح الخامس عشر من انجيل معلمنا لوقا الطبيب الحبيب ، فصل مختار فى فصول الكتاب المقدس . لم يكتب لوقا أنشودة من العواطف البليغة مثلما كتب فى قصة الابن التائه . وكم بدت عظمة يسوع حينما خرجت من شفتيه واقعة ذلك الابن الضال ، فمنذ فجر الايمان المسيحى حتى يومنا هذا ، ما زال الملايين من بنى البشر يجدون فى هذا الفصل التعزية والتشجيع واليقين الكامل فى رأس خلاصنا ومكمل ايماننا ، يسوع ابن الانسان .

والواقعية غنية بالعواطف والانفعالات ، مليئة بالمواقف الواقعية المؤثرة ، وقد لا تملك أن تحبس دموعك فى بعض مشاهدها الانسانية الدقيقة ! فهى قصة تمس كل بشر وكل حياة ، مأخوذة من الطبيعة البشرية ، لم يغيرها الماضى ولن يمسها تغيير فى الحاضر أو المستقبل .

وهذا سر عظمتها وتأثيرها فى سامعيها وقارئيها .

يبدأ مشهد القصة فى بيت هادئ سعيد ، وتحت سقف البيت كان يعيش رجل وابناه ، وخدم وعبيد ، فى سلام فى شبع وفى كفاف . وجاءت الساعة التى تواجه كل مخلوق على الأرض .. ساعة الاختيار ! اختار الابن الأكبر أن يقف إلى جوار أبيه إلى النفس الأخير ، وأن يبقى تحت سقف البيت الذى ولد وعاش فيه . أما الصغير فقد داخله فكر آخر من وحى الشرير . طلب من أبيه

ما يخصه من المال والميراث الذى لم يتعب فى جمعه . أبوه هو الذى تعب وبذل فيه العرق والدم والدموع ، والابن الطائش يريد أن يحصد ما لم يزرعه !

البيت المنقسم على ذاته لا يدوم ، بل مصيره الخراب والفشل والسقوط . . وهذا هو المبدأ الذى يحارب لأجله الشرير ، ليتحصل على السيادة بالتفرقة والانقسام . فرق بين الابن وأبيه ، وكان سلاحه المال والميراث . ولعله كان يهمس فى اذن ذلك الشاب الحدث الصغير كل ساعة ، ما يهمسه فى آذاننا حتى اليوم . . أنت كامل السن ، حر كيف تفكر وكيف تعيش ، قم امض إلى العالم فهناك حياة جديدة رحبة تنتظرك أفضل من بيت أبيك العتيق .

أليس هذا مبدأه فى محاربة البشر ؟ الكنيسة بيت سعيد غير مصنوع بأيادى الناس ، ورب البيت ندعوه ابا لنا فى السموات ، وتحت ظل البيت يسكن بنين وبنات ، شيوخ وشباب وأولاد ، يعيشون بالايمان ويحيون بالتقوى . فيجئ أبليس يريد أن يعثر ولو المختارين أيضا ، ووسيلته " فرق تسد " بين الآب السماوى وبين أولاده ، بالاغراء والحرية الكاذبة واللذة المائتة .

ومن أحضان أبيه الطيب القلب ، انطلق الابن الصغير إلى العالم الذى تخيله فى نفسه وفكره ، إلى كورة بعيدة عن بيت طفولته وصباه . ومضى ليعيش بين سائر الناس ، مندمجا فى صفوفهم يحيا حياتهم ويدين بمبادئهم ، متحررا من كل قيد وفرض . !

وأستطيع أن أتخيل ساعة الرحيل ، وعواطف الأب وعواطف الابن الراحل . في مشهد مؤثر ، عانق الأب ابنه وقبله . كان الأب يعاين لحمه ودمه ، صورة مجده ورجاء كفاحه فى الحياة ، يذوب ويتلاشى فى خطوات ابنه الجاحد وهو ينطلق بعيدا فى الطريق الرحب إلى كورة مجهولة ، موليا ظهره لأحبائه وفاتحا صدره ليستقبل العالم الواسع . وانهارات القصور التى كان يحلم بها الأب كبير القلب ، والسعادة التى كان يتمناها لصغيره ، أمام عواطف جامدة وأفكار شاردة وشهوات عابرة . .

وهذه الآمال والسعادة لاتقاس بما تمناه لنا الله حينما تمخض بنا بالصليب . فاحتمل العار والخزى ، البصق والازدراء ، الوحدة والضيق ، من أجل السرور الموضوع أمامه ! سرور لا ينطق به ومجيد لأجل أولاده ، مواعيد عظمى وثمينة ، والمجد العتيد أن يستعلن فيهم . ولكن وأسفاه ! أنهم لازالوا يتركون الحبيب إلى كورة بعيدة ، ينطلقون خارج البيوت الأبدية إلى الطريق الرحب للهلاك والمسالك غير المستقيمة . ومازال المسيح يباع لقاء ثلاثين من الفضة! ينبوع ماء الحياة يهجر ، والمراعى الخضر تذبل والأولاد يمضون للغيوم التى لا تمطر ، والآبار التى لا تضبط ماء ! !

+ + +

وانفصل الابن الشارد وعاش فى الكورة البعيدة ، حيث الجرعة المرة التى احتساها من مال الظلم ، والخبز اليابس الذى اشتهته نفسه الطائشة وفكرة الإثم

. عيش مسرف فى الخلاعة ، عرق أبيه أكله مع الزوانى ، والميراث بدده بين أصدقاء السوء والأردياء .

وهذا منطق طبيعى لا غرابة فيه البتة ! فالعالم الحاضر قد وضع فى الشرير ، والشرير لا يستطيع أن يعطى إلا ما له شهوة العيون ، وشهوة الجسد ، وتعظم المعيشة . كذب ونفاق وخداع وملذات آثمة ، أمجاد عابرة لا تدوم ، هذا هو الطعام البائد الذى يتغذى به الناس من رئيس العالم .

والعالم كورة بعيدة وأرض غريبة ، بالنسبة لأولاد الله . إذ لهم بيت غير مصنوع بأيادى الناس ، وخيمة قائمة لا تسقط أرض جديدة وسماء جديدة يسكن فيها البر ويربض الأسد مع الحمل. حظيرة سعيدة ووطن أفضل ومرعى أخضر . هو ذلك الملكوت السماوى الذي لنا بيسوع المسيح الهنا .

وفى اليوم الذى ينطلق الأولاد فيه بعيدا عن الله ، إلى العالم الغريب والكورة البعيدة ، يسلمهم الآب إلى ذهن مرفوض ويظلم قلبهم الغبى فيفعلون ما لا يليق . السم تحت شفاههم يسكن ، والشهوة النجسة فى عيونهم تكمن ، الاغتصاب والسحق فى أيديهم ، والدم والهلاك يتبع أرجلهم . فينفقون الميراث باسراف مع الزوانى ، مثلما أنفقها ذلك الابن الجاحد الضال .

+ + +

وزادت المجاعة بعد الشبع ، والحاجة بعد الكفاف . العشب ييبس ، والزهر فى جمال منظره ، وانبتت الأرض القاحلة شوكا وحسكا .. فابتدأ الابن يجوع ، وابتدا يحتاج .

يا لعمق غنى الله وحكمته ! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . ان الذى يزرعه الانسان فاياه يحصده أيضا ! الذى يزرع لجسده فمن الجسد يحصد موتا ، والذى يبذر بذار النجاسة فى الكورة البعيدة ، يحصد حصاد الشوك والزوان . لا سلام فى العالم ولا شبع ، بل برية قاحلة ومجاعة عظيمة ! كل هبات العالم وقتية ، ملذاته عابرة ، غناه وأمجاده زائلة ، كله تغيير وظل ودوران . .

وأخيرا تبقى المجاعة ! مجاعة روحية عظيمة للبر والسلام واللطف ، حاجة ملحة للغذاء الروحى والكساء العقلى للإيمان والرجاء والمحبة والصداقة التى لا يشوبها رياء . وهذه عينها هى المجاعة التى تسود عالم القرن العشرين ! الخليقة التى تئن وتتوجع ، سر الأثم الذى يعمل للهلاك ، ختام الأمر كله أن العالم قد ابتدأ يحتاج ، وأما الحاجه فهى إلى واحد !

وقد كان هذا الابن الجاحد محتاجا ولا شك ، إلى خبز يشبع جوعه وكساء يحمى بدنه العارى . ولكن من واقع القصة تشعر معى أنه احتاج الأمر إلى أمر آخر بالغ الأهمية.
محتاج إلى صديق وفى يستطيع أن يبادله الصداقة الأمينة بلا رياء ، ورفيق مخلص يقف إلى جواره فى اليوم الأسود والساعة الحرجة . ووراء الصديق والرفيق ، كانت تبرز حاجته إلى أب مفقود .

وما كان أحوج الابن الضال إلى أبيه البعيد ، وليس هناك صديق واحد من أصدقاء السوء ليقف إلى جواره ساعة الكرب. قد زرع الجحود وانكار الجميل نحو أبيه ، والآن يحصد مما زرع أيضاً جحوداً وجفاء ، من الناس الأردياء الذين أنفق عليهم من مال الظلم !

وهذه واقعة كل يوم ، وقصة كل حياة . لا سلام فى العالم يدوم ، ولا صداقة لتعيش . قد تطلب الخرنوب ممن قدمت لهم الذهب ، فلا يعطيك أحد . الأيام شريرة تبسم يوما ثم تميل للعبوس ، تضحك حيناً وتبكيك دهراً . أين الأصدقاء والأحباء ، أين الرفيق والمعين ؟ ليس ولا واحد ! ! لأن ابليس سيد كاذب وغادر . وإذا استقيت من يده الحلاوة الآثمة ، فهى ستعطيك أيضا مرارتها لتشرب .

+++

ورجع الابن الضال يوما إلى نفسه ، وقال كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعا ؟

كان القياس حكيما ، والمقارنة صائبة بين أبيه ونفسه . خبز يفضل عن العبيد هناك ، وجوع مهلك للبنين هنا ! شبع وكساء ، وطن ورفاق ، غنى وسلام ، هذه جميعها عند أبى ، وهنا فى هذه الكورة التى خدعتنى تبقى المجاعة وتعيش الشهوة وأهلك أنا !

ومن نعم الله العميقة ومن مراحمه العظيمة ، أنه جعل فينا إدراكاً وقلباً وضميراً ، ليوبخنا حينما نخطئ ، يوقظنا حينما يطول سبات النوم ، ويرجعنا إلى راعى نفوسنا وأسقفها حينما نضل بعيداً فى أوكار الثعالب وكوره الذئاب .

سمعان بطرس كان يشتم ويحلف ويلعن بأسم سيده حينما صاح المديك ، ثم رجع إلى نفسه وتذكر فخرج ليبكى بكاء مرا نفسه الجاحدة ! شاول الطرسوسى كان ينفث قتلا وتهددا وتشريدا فى أتباع المسيح ، إلى أن قابل ناصرى الجليل عند أبواب دمشق ، فرجع إلى نفسه !

ارجع إلى نفسك أيها الضال الصغير ، فإن هذه أعظم فضيلة فى الوجود . تلفت إلى اليمين واليسار ، تعاين الهلاك والجوع الآبار الجافة والعشب اليابس والزهر الذابل . ثم التفت وراءك نحو بيت أبيك ، بيت الرعايه والصبا ، القلب الرقيق والمحبة الصافيـــة والنفس الكبيرة .. كلها لك ، مفتوحة لتحتويك أيها الصغير .

ومن هنا كان القيام والرجوع إلى بيت أبيه . الأيام الشريرة علمته كيف يكون صالحا ، الخبرة الرديئة فى الكورة البعيدة علمته الحكمة الفاضلة والتمييز بين الخير والشر . الزنا والنجاسه ، المجاعة وطعام الخنازير ، جفاء البشر وأصدقاء السوء ، البذخ والعيش المسرف ، هذه جميعها أرجعته إلى نفسه التى ضاعت منه يوم غادر أباه . وعاد وهو يقول أن أكون أجيراً فى بيت أبى ، أفضل من البقاء حرا وسط الخنازير ! أن أكون خادما فى بيت أبى ، أفضل من السيادة وسط الغرباء والأردياء . الجراحات فى بيت أبى ، أفضل من القبلات الغاشة وسط الأعداء .

والمرارة فى بيت أبى ، أفضل من الحلو الذى يسقينيه المنافقون . فما أعظم التوبة ، ثمنها يفوق اللآلئ !

+ + +

وحقاً يكون تهليل السماء ، تسبحة وترنيم وأصوات ملائكة سعيدة ، حينما يستيقظ النائم من سباته ويرجع الضال إلى نفسه ليقوم عائدا إلى البيت . وهناك شئ واحد لا يرذله الله أبونا السماوى ، هو القلب المنكسر والنفس المنسحقة بالتوبة الصادقة ، والعودة إلى راعى نفوسنا الصالح . فالدرهم المفقود قد وجد ، والخروف الشارد من قطيعه عاد إلى راعيه الحقيقى ، ليحمله على منكبيه ويرجع به فرحا .

وعجيب أمر هذه الأبوة الحانية ، أنها ينبوع من العاطفة الجارفة والمحبة الصادقة الخالصة . تحتمل وتبصر وترجو كل شئ ، لا تفشل ولا تغضب ولا ترجع فارغة ! قلب الآب النابض بهذه الأبوة كان يحدث صاحبه أن الابن الضائع وان طالت غيبته ، لابد عائد يوما ما إلى البيت . وعلى هذا الرجاء الراسخ عاش بقية أيام حياته .. عين مترقبة تتطلع إلى الأفق البعيد ، نحو الطريق الذى سلكته أقدام الابن الصغير ، ويد مرتعشة توقد السراج وتحمله إلى الباب كل ليلة ، كى يهتدى بنوره كل عابر سبيل وسط الظلام .

إلى أن جاءت ساعة لم تكن أسعد منها فى الحياة ! حين لم تخطئ العين المتلهفة صورة الابن الحبيب . من بعيد رفع الأب عينيه ورآه ، فى أسماله وعريه ، فى هيكله وأقدامه البالية . ان السنوات قد محت معالمه ، وغيرت منظره ، ولكن

بقى جوهره ، جوهر ابنه الصغير ! وتحنن الأب الكهل ، نسى الاساءة وصفح عن الجحود فى لحظة ، فى طرفة عين ! وانطلق يركض ركضا بأرجل هزيلة شددها الايمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة العظيمة ! وتحت الشمس والسماء الصافية وقع الأب على عنق إبنه ، فى قبلة الغفران الخالدة.
" فابتدأوا يفرحون . "

بهذه العبارات ختم يسوع قصة التوبة والمسامحة . أفراح مجيدة فى البيت الصامت الحزين ، صوت رقص وطرب عوض الدموع والأنين . حياة بعد موت ، وجود بعد ضلال ، وعودة بعد انطلاق . أب سعيد بصغيره الذى قام من بين الأموات !

وانه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب ، وصوت أجراس سمائية وملائكة مبتهجة ، بكل نفس تعود . فالى البيت السماوى أيها الحبيب ، لتجد رداء البر ناصعا فى بياضه كالثلج ، حاذيا قدميك باستعداد انجيل السلام ، وخاتما فى أصبعك عهدا أبديا للمحبة التى بلا رياء ، ثم طعاما سمائيا أفضل حلاوة من خبز الملائكة .

فلست بعد عبدا بل ابنا ، والابن يملك فى البيت إلى الأبد .

أين هى عيونكم

" يسوع رفع نظره نحو السماء "
(متى ١٤ : ١٩) ، (مرقس ٦ : ٤١)
(لوقا ٩ : ١٦) ، (يوحنا ٦ : ١١)

فى الآية العظمى بالخمس خبزات والسمكتين ، عندما أطعم الرب يسوع الجموع التى كانت تتبعه ، يلفت نظرى قول الانجليين الأربعة انه رفع عينيه نحو السماء وشكر ، وللوقت بارك وكسر وأعطى التلاميذ ليعطوا الجموع . وأنه لاختبار روحى جميل أن نتطلع إليه اليوم بعين الايمان ، شاخصا نحو السماء فى جلال وهدوء ، وشفتاه تنطقان بعبارات الشكر والبركة والسلطان .

أين هى عيونكم هذا الصباح ، وكيف تتجه أنظاركم ؟ أخاف أن أقول فى أسف ولوعة ، اننى لا أرى عيوننا كثيرة شاخصة نحو السماء ، ولا أنظارا مرتفعة إلى الأعالى . فان هذا القرن العجيب الذى نعيش فيه قد غير معالم حياة الانسان وايمان المسيحية الأولى ، فالأنظار لا تتجه إلى أعلا ، بل إلى أسفل الأسافل، وأعماق الهاوية ! عيون ليست بسيطة ولا مستنيرة ، بل مظلمة ماكرة ، منحرفة مشتهية " وإذا كان النور الذى فيك ظلاما ، فالظلام كم يكون " ؟

فالبشر يشخصون إلى أسيادهم ورؤسائهم ، كما ينظر العبيد نحو سادتهم . يتطلعون إلى المؤتمرات والأحلاف والمواثيق والموائد المستديرة ، متعلقين بها تعلق الغريق بالنجاه . ينظرون إلى الحروف الكبيرة والعناوين الضخمة تطالعهم بها

الصحف فى الصباح والمساء ، حين تحدثهم عن حروب ، عن كوارث وآلام ، عن جرائم واغتيالات ، وفضائح وآثام .

وأرى عيونا أخرى شاخصة إلى المال بشراهة ، بطمع وعبادة . وأرى أنظارا لا تتفتح إلا على الشهوة واللذة ، نحو مال الجار ، وامرأته ، ثوبه ومنزله ودابته ! وأبصر عيونا تشخص فى نهم ، نحو الاعلانات المصورة المشوهة فى الميادين والطرق ، وهى تنطق وتنادى بالنجاسة والرذيلة والانحلال .

+ + +

أما نحن فلم نعرف المسيح هكذا ، ولا تبعناه فى مثل ذلك الطريق الذى يسير فيه العميان قادة للعميان ! فانه يعلمنا فى هيئته المجيدة واقفا بين جموع البشر و كيف ننظر وإلى أين تتجه عيوننا دواما .

إلى فوق أيها العزيز .. إلى أعلا الأعالى ، إلى السماء الثالثة ، إلى يمين العظمة ، نحو الجبل المشرق والسحابة المضيئة بأنوار الخلود . فلا تكن فيكم عين مخذولة تنظر للوراء نحو سدوم أو عمورة وهى تحترق لئلا يأتى عليكم ما أتى على امرأة لوط حين صارت عمود ملح جزاء نظرتها المائتة . بل ننظر فى كل وقت مناسب وغير مناسب إلى السماء ، بإيمان ورجاء ويقين. نخلع عن عيوننا البرقع الذى يحجب المواعيد والاعلانات الثمينة متطلعين للسماويات ليلا ونهارا .

والسموات كانت دواما على شفتى الرب المسيح – قد اقترب منكم ملكوت السموات – طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات – أفرحوا وتهللوا

لأن أجركم عظيم في السموات – اكنزوا لكم كنوزا فى السموات – بالحرى افرحوا لأن اسماءكم قد كتبت فى السماوات .

فالسماء هى كرسى مجده ، والأرض موطئ قدميه . وقديما تمجد الله أمام شعبه فى عمود النار والسحابة التى ظللتهم من السماء فى البرية . وتسبحه الملائكة كل حين ، هى " المجد لله فى الأعالى " . وصلاتنا الربانية تنادى فى مطلعها " أبانا الذى فى السموات " . وفى أيام تجسد الرب جاء الصوت العظيم من المجد الأسنى من السموات " هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " .

وفى أسبوعه الأخير على الأرض نادى الرب يسوع مجدنى أيها الأب ، ومن السماء جاءه الجواب الالهى " مجدت وسأمجد أيضا " كمثل رعد قاصف . ومن السماء أيضا جاءت عاصفة الروح القدس يوم الخمسين ، وحل على التلاميذ من فوق كألسنة نار . وإلى السماء الثالثة ، اختطف بولس الرسول وعاين الاعلانات ورؤى لا يسوغ لبشر أن ينطق بها .

وهذا هو العهد الذى قطعه على نفسه ، ان الابن كما انطلق إلى السماء بعد أن أخذته السحابة عن أعين التلاميذ سيجئ منها من المشرق فى مجد عظيم ليدين الأحياء والأموات . لتنظره كل عين ، ولتجثو له كل ركبة ويعترف باسمه كل انسان ، ليملك ويسود ويضع أعداءه عند موطئ قدميه .

وإذا كان فينا هذا الرجاء الخالد لا يتزعزع ، فى المجد والعهود والمواعيد ، فلنرفع أنظارنا إلى فوق دائما . فى ساعة التجربة والضيق والشدة ، فى أوقات العثرات والحرب والشدائد ، فى الإضطهاد والأمراض والدموع ، والإضطهاد

والارتداد .. فى هذه جميعا نتطلع إلى الأعالى من حيث يأتى عوننا . وكما قيل " فى ضيقتهم رفعوا عيونهم إلى عرشه " .

كان استفانوس يموت ويتمزق جسده ، هاويا تحت ثقل الأحجار المميتة من أيدى راجميه .. أما عيناه فكانتا شاخصتين كملاك نحو السماء ، مبصرا يسوع قائما فى يمين العظمة يعزيه ويقبل روحه ، حاملا له بين يديه إكليل الشهادة .

وختام الأمر كله انه لنا فى السماء وطنا أفضل ، مدينة باقية ، أورشليم السمائية ، أم جميع المؤمنين . حيث لا موت ولا حزن ولا دموع ، بل نكون كل حين مع الرب ، مضيئين كأنوار بحسب غنى مجده وقدرته السرمدية وسلطانه الابدى .

السامرية

" نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم " (يوحنا ٤: ٤٢)

عند البئر التى أعطاها يعقوب نصيبا لبنيه ومواشيه ، وفى أجمل بقعة خضراء فى قلب السامرة' جلس يسوع ينتظر لقاء العمر بالنسبة لامرأة لها ماض!

وكتب يوحنا الانجيلى منفردا ، حواراً خالدا بين رب المجد والسامرية ، صارت عباراته خلال الأجيال الطويلة مصدر تأمل عميق وغنى للروح لا تبلى معانيه . فان يسوع المسيح هو بذاته أمس واليوم وإلى الأبد ، لا تغيير فيه ولا ظل دوران ، جالس كما فى ذلك اليوم ، ينتظر أن يلقى شباك ملكوت السموات ودعوة الحياة والحق ، ليرد الخطاة إلى الخير وفكر العصاة إلى طاعة الأبرار .

أقبلت السامرية حاملة جرتها من المدينة إلى البئر لتستقى ماء ، أقبلت وحدها . وهذه السامرية هى النفس المتعبة ، النفس الوحيدة المحتاجة إلى معونة رقيقة ، تسعى وقت الظهيرة وهى ظمآنة متعبة إلى بئر يعقوب تطلب ماء . وكم تشتاق نفسى للمياه كشوق الغزال الظامئ ، فأسير مطرق الرأس مجهد الروح نحو المياه ، فلعل خطوات السامرية تقودنى إليه فألقاه هنالك... لقاء العمر كله !

وقال الرب عباراته الرقيقة ، " أعطينى لأشرب " ، واضعاً الطريقة الجديدة لخلاص النفوس . إذ هو يقول " أعطنى لأشرب " على حافة البئر ، " وأنا

عطشان " فى أعلا الصليب. أنت تطلب إلى يا يسوع يا ابن الله ! عجيب فى أعيننا ، ياربح النفوس الحكيم !

فانه لما كانت النفس البشرية شامخة مرتفعة ، أنانية متكبرة ، ولكى يعبر يسوع غرور القلب وقسوة الخطية ، يطلب هو باتضاع من هذه النفس فلا يجرح كبرياءها . يريد عملا انسانيا يقرب النفس البعيدة إلى قلبه الكبير سواء بكأس الماء البارد أو خمسة أرغفة شعير ، أو فلسين متواضعين ، أو عبارة اعتراف أو صلاة شكر متواضعة . كسوة عار ، أو افتقاد حزين ، أو رد خاطئ . قد يطلبها منك بمجهودك وتعبك ، لا لنفسه بل كى يفتح لنفسك بابا عظيما للخلاص ، كما فتح السامرية عند البئر .

وقالت السامرية فى دهشة ، وقالت نفسى أيضا ، كيف تطلب منى لتشرب ؟ كان هذا هروبا من الخدمة ، ومحاولة لبقاء عزلة النفس عن الله . انها تقول " لا أريد حديثا معه ، لعله يكون غريب الجنس عنى " ، ونفسى تقول ليس هو محتاجا لخدماتى ، وربوبيته لا تحتاج لعبوديتى ، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شئ . فليبق كل منا فى طريقه لا يأخذ هو مما لى ، ولا تأخذ نفسى مما له !

أما رابح النفوس الحكيم فقد انفتحت قدامه أبواب الخلاص العظيمة . أنه يرى نفسا مرتبكة مضطربة ، وحيدة فى عزلتها مرتفعة فى كبريائها ! فيطمئن النفس المضطربة أنها هى المحتاجة إلى ربوبيته قائلا " ليتك تعلمين عطية الله " أطلب

منك ماء لأشرب ، ولكن لى سلطان أن أعطى أنهار ماء حى ، الينابيع العلوية والسفلية الأبدية وكل طاقات الغمر المفتوحة !

وقالت السامرية للرب وقلت معها في غباء ، أن اعطنى هذه العطية ، وهى لم تعطه كأس الماء التى طلب ! النفس البشرية فى أنانيتها ، وذاتى على حقيقتها ، تريد أن تأخذ ولا عطاء ، لا شئ لك ولنفسى كل شئ !

أما رابح النفوس الحكيم يقول ، أين الزوج والأخوة والأحباء أيضا ؟ من ينظر إلى نفسه فقط يهلكها ، ومن يهلكها لأجلى وللاخرين يجدها . انتزع عنك ذاتك الأنانية ، وادع الجميع فالموعد هو لكم ولأولاكم من بعدكم . اعترف بخطاياك ولا تكتم آثامك أو تخفى ماضيك ، فليس فى الأرض بار واحد ولو كانت حياة الانسان يوما واحدا . تعالى أيتها النفس المتعبة ، وافتح بابك ياثقيل الحمل . تعالوا معا إلى الوليمة ياإخوتى وأحبائى ، تعالوا أيها العميان والجدع والعرج والضعفاء والمساكين والمنكسرين والذين بلا كرامة

قرأ يسوع للسامرية سفر حياتها ، وطالع أيامها وماضيها فى كتاب مفتوح . رأى أزواجها الواحد تلو الآخر ، والرفيق الأخير . انها حياة غير مستقرة ، انها نفس متعبة ! ليس فى اشارة المسيح تجريح أو تشهير ، لكنه تذكير هادئ بالاثم القديم . هى دعوة صادقة أن تراجع حياتك ، تطالعها فى صفاء عينيه وكمال بره . الأيام السالفة التى مضت ، السنوات التى أكلها الجراد ، ثم يومك الحاضر وما تخفيه نفسك من فشل وخوف .

+ + +

وإذ رأت فيه روح الأنبياء ومعرفة الصديقين ومشورة الحكماء' اقتربت منه اقترابا جديدا . سألته عن المكان والزمان ، عن الهياكل والجبال والوطن ، أورشليم والهيكل وبئر يعقوب وجيريزيم . آه يا حبيبى ! ما أغبى الجسد وأضعفه حينما يواجه كلماته التى تقطر حكمة خلودا أبدية صريحة ! ان ملكوت السموات ليس هنا أو هناك ، لا يأتى بمراقبة . ليس فى أورشليم أو السامرة ، وهيكل الرب ليس أحجارا مزينة مصنوعة بأيادى الناس !

الحق يقول الحق ، ان ملكوتى ليس أكلا وشربا ، ليس مكاننا وزماننا ، بل هو داخلكم ، فى أعماق قلوبكم ونفوسكم والكنيسة الحقيقة أورشليم السمائية ، أمنا جميعا ، هى فى السماوات بناء من الله لا ينقض غير مصنوع بأيدى الناس ، أبدى . الهياكل هى أنتم القديسون الأبكار المحبوبين ، وروح الله يسكن فيكم وحال فى وسطكم . الصلاة المسيحية سجود بالروح والحق ، بأنات من الأعماق ، لأن المسيحية روح وحق وحياة . هذه هى أسس العبادة الجديدة ، للعهد الجديد.

وفى النهاية . . استسلام وطاعة ومعرفة .

لعلك المسيح ؟ نعم " أنا هو الذى أكلمك " . كلمته حية فعالة وأمضى من السيف ذى الحدين ، لا ترجع فارغة بل دائما تصنع خلاصا ، قادرة بالله على هدم حصون الخطية المتشامخة واستئسار كل فكر وعلو يرتفع ضد . معرفته أنت هو المسيح ابن الله الحى ، مخلص العالم ، أنت الحكمة ، الطريق والحق والحياة

، نور العالم . إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك ؟ وتركت السامرية جارتها فارغة بجوار البئر. وهذه الجره كانت حياتها الأولى وقلبها العتيق ! الأيام السالفة الفارغة ، والسنوات الهزيلة ، والأشياء العتيقة التى مضت ، وبئر يعقوب الأولى .

فقد وجدت ذاك الذى يملأ لها ولك ، جرة جديدة للعهد الجديد ! يملأ قلبك ببهجة الخلاص ، فتجرى من بطنك أنهار ماء حى . وأما البئر الجديد فهى كنيسة المفديين المحبوبين' حيث مياه جارية دائمة للعطاش ، للتطهير أيضا ، انفتحت ينابيعها من جنبه الطاهر على الصليب .

آمين

أعمى .. لمجد الله !

" لتظهر أعمال الله فيه "   (يوحنا ٩ : ٣)

من الناس من تصيبهم المحن جملة ، وتنصب على رؤوسهم البلايا مجتمعة ، كأنما حياتهم قد صنعت للعذاب ، وأهديت للآلام . وكان صاحبنا الأعمى ، قديس هذه الواقعة المؤثرة التى يرويها يوحنا الانجيلى ، ممن تنطبق عليهم هذه فى الصورة بالتمام .

جلس تحت جدران متداعية أو أغصان شجرة فى الطريق مثل كومة رثة مهملة فى بؤسه وفقره وظلمته . تارة يشكو وتارة يستعطف ، تارة يستجدى وتارة يثور ويحقد . ولكنه يميل فى النهاية إلى صمت ذليل واطراق ، فيستسلم حزينا إلى عالمه الموحش ، الذى صنعته له الأقدار من الظلمة الحالكة .

قليل من التأمل يلزمنى لأعرف بعض ما كان يبطنه ذلك القديس الأعمى . وليت العالم يدرك أنه محتاج إلى قليل من العاطفة والتأمل والاحساس ، قبل احتياجه إلى مزيد من علمه الكثير الذى قسم به الذرة ! فان ذرة من عاطفة صريحة واحساس خالص قد تنقذ الانسان من الآلام التى جرتها عليه حكمة علمه وعقله .

على أن هذه الكومة المهملة كانت نفسا حية قبل كل شئ! وإذا كان العابرون به يمضون فى طريقهم لا يلوون على شئ فهو انسان لا شبح ، روح وجسد .

لحم ودم . ووأسفاه ! لم يكن له من يخفف عنه شيئا . حتى أبوه وأمه تخليا عنه للعالم الذى يدينه ويكرهه ، وقالا عنه خوفا من اليهود أمام المجمع " هو كامل السن أسألوه " . ولعله قد اشتاق إلى الموت وطلب الراحة ، فلم يدرك حتى الموت وأخطأته راحة القبر أيضا .

وفى غمرة حياة هذه صورتها . عبرت جماعة كانت تجتاز الطريق ، وعلى رأس الجماعة واحد ليس كسائر البشر . كان يسوع مجتازا ، بأقدام متعبة تبشر المتعبين براحة ، وعيون رقيقة تفحص أعماق القلوب ، لأنه رجل أوجاع ومختبر أحزان . لم يكن مجتازا تلك الساعة من قبيل المصادفة الطارئة ، فليست فى أفكار الله صدفة أو فى مشيئة السموات عوارض ، بل هو حتم بالأزمنة والمواعيد كل شئ . منذ ساعات قليلة كانوا يطلبون نفسه ليهلكوه رجما بالحجارة فعبر وجاز من وسطهم ، اجتاز ليلتقى بالقديس الأعمى لقاء العمر كله .

وترامى إلى أذنى الأعمى صوت قوم مقبلين عليه ، وسمعهم يتحادثون ويتشاورون فيما بينهم . وتعالى الهمس بينهم حينما وقفوا أمامه ناظرين متسائلين ، ثم دوت عباراتهم فى أذنيه كرعد يقصف " أهذا أخطأ أم أبواه حتى ولد أعمى " ؟

يالعار الأرض وساكنيها ! إلى متى يظن الناس أنفسهم حكماء ، وهم بأقوالهم وأفكارهم يحكمون على أنفسهم أنهم جهلاء ؟ يرمونه بالوزر الخطيئة ويحملونه العار واللوم ، حتى قبل أن يولد إلى العالم ! كأنهم يعيرونه متهكمين " بالخطايا ولدت بجملتك " ، أو لعل الرب يفتقد ذنوب الآباء فى أبنائهم وذرياتهم إلى الجيل

الثالث ؟ وطغى الألم العميق على فكرة المعذب ، وجازته سحائب الوحدة والاستسلام . كان عذاب جسده ، والآن عذاب نفسه ، وهذا أقصى ما يستطيع العالم أن يقدمه لأمثاله !

لا ليس أكثر الناس ألماً فى الحياة ، هم أكثر هم خطأ . وليس أكثر الناس مرضا وبلايا ، هم وحدهم المغضوب عليهم . أيها العزيز حسن أن تدين نفسك ، ولكن ليس حسن أن تدين غيرك ولا ترى فى آلام الآخرين إلا عقابا وفى أحزانهم قصاصا ومجازاة ! فليس الله انسانا ليثأر ويحقد ، بل هو اله الرأفة والحنان والحب . ولابد أن هناك حسب ترتيباته حكمة ، وفى آلامنا تطويب ومجد . وقد تجهله جبلتنا الضعيفة ، ونتفرس فيه كما فى لغز معقد ، ولكننا حتما فى النهاية سنعرف ونفهم كل شئ . أما اليوم فيكفينا شره ، ولنتعلم الطاعة مما نتألم به كأولاد الله.

+ + +

وأخيرا جاءته عبارة رقيقة عذبة من الفم الذى لم يوجد فيه غش ، عبارة صاغتها النعمة المخلصة الفياضة . وبهذه الحاسة الخفيفة التى يسكبها الله فى العميان ، أدرك الأعمى عظمة الواقف أمامه وجلال طبيعته ! كان صوت الرب يسوع إليه صوتا لم ينصت إلى مثله قبلا طوال حياته الشقية . وكان تصريح السيد المسيح له شديد الأهمية بالنسبة له ، وبالنسبة لكثير من الناس ممن يجتازون حياة شبيهة . جميع أولئك الذين سقطوا فريسة الحزن العميق ، أو الفقر والأعواز الذليل ، أو العاهات المشوهة أو الأمراض الموجعة أو الوحدة المعذبة .

وجد الأعمى الاجابة على سؤاله المحير واستفساره المزمن فى طرفة عين ! حينما أعلن له المسيح " أنت أعمى . . لأجل مجد الله " !

وهذه حقيقة راسخة ينبغى أن يقبلها بلا قيد أو شرط كل من يؤمن بانجيل يسوع المسيح ، ومن الصعب على من يرفضها الدخول إلى ملكوت السموات . وهى تعلمنا تعليما بالغ الأهمية لا يقبله طبعا أتباع حكمة هذا العالم ، لأن الانسان الطبيعى عنده جهالة من جهة روح الله وناموسه ، أما الذين هم فى ايمان يسوع ونعمته الفائقة فيعرفون الأمور الموهوبة لهم من الله " لأنه أعطانا بصيرة لنعرف الحق " .

أنت دخلت العالم ، لأجل مجد الله ، ولأجل مجد الله قد تكتفى وقد تعوز ، تشبع أو تجوع ، فى بصر أو عمى ، فى ملء وفى نقصان ، فى النور وفى الظلمة ، فى الصحة والمرض ، فى الحياة أو الموت . فى هذه جميعا يتمجد الله فينا وبنا ، فهل تؤمن بذلك وتقبله ؟

فى كل شئ أرفع يدى بسرور ، أصلى صلاة الشكر ، وانتظر الله . ولذلك أسر بالضعفات والضرورات والضيقات ، لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى ! وقديما صلى بولس الرسول إلى الله كى تفارقه شوكة فى جسده مررت حياته وكفاحه العظيم ، ولكن ارادة الله قالت " تكفيك نعمتى فان قوتى فى الضعف تكمل " وأيوب الذى كان الله يحبه ، سقط فى الطريق وحيدا من الجميع مضروبا بالقروح ، متروكا مهجورا يائسا ، حتى صاحت امرأته فى وجهه مرة أن جدف

على الله ثم مت ، فأجابها بحكمة " الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركا "

أيها العزيز – تعلم أن تشكر لا أن تشكو ، تبارك ولا تلعن' فبطريقة ما قد لا تدركها تمجده فى ضعفاتك ، وفى شوكة الجسد ، فى القروح ، فى العمى ، فى العاهة ، وفى هذه جميعها " أعط مجداً الله " .

+ + +

وتفل يسوع وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عينى الأعمى . وانطلق الرجل فى هذه الصورة إلى بركة سلوام كى يغتسل ! وحقاً قل أن يوجد ايمان عظيم مثل هذا ، ايمان أقوى من العقل ، أعمق من المنطق ، وأبعد من حدود البصر! آمن بطبيب لم يبصره ، وأيقن برجل لا ينظره . على كلمة الرب وثق فى التفل والطين والتراب ، وترجى فى مياه بركة سلوام الراكدة !

وهذا هو الايمان الذى يطلبه الرب يسوع " ثقة بما يرجى' وايقان بأمور لا ترى " ، تصديق بلا قيد بلا شرط ، لا يحده تفسير وتعليل ، بل كقول السيدة العذراء "كل ما يقوله لكم فافعلوه".

واذ اجتاز الأعمى اختبار الايمان ،. الاختبار الذى بدونه لن يرضى أحد الله ، ابتدأ يحصد مما زرع . ومن يزرع الدموع يحصد بالابتهاج ! دموع دهر طويل من الظلمات ، من الشك من الانتظار ، من الحيرة ومن الرجاء ، أثمرت بعد طول زمان ابتهاجا وسرورا ، بصرا وضياء ونورا . مضى واغتسل فعاد بصيرا !

ربى والهى . . الآن أدركت بعض أحكامك وأفكارك ، تتأنى وتتوانى ، ثم تنزل وترى . تسمح بالجـــراح ثم تعصب وتشفى! ليتمجد الايمان ، وتبرر النفس الطيبة أمامك . ليتزكى الصديق ، وتكمل فى الضعفات قوتك !

فاذا اجتاز الرب أبواب بيتك وعتبة دارك داعيا مبشرا بالسلام فقم لتوك ، لا تستشير لحما ولا دما ، ولا تكن معاندا للرؤيا السمائية ، بل انطلق إلى سلوام العظيمة ، إلى الجلجثة والصليب ، واغتسل كما تشاء بالدم الذى نزف من جراحاته وجنبه المطعون بالحربة ، ففيه شفاء وبصيرة وتقديس وتذكر أن ذاك مضى أعمى ، وعاد بصيرا . مضى فى ضعف ، وعاد فى ملء قوته . مضى فى حزن ، وعاد فى ملء الفرح يطفر ويهلل ويسبح "كنت أعمى والآن أبصر "

صار له نور عينية ، واستناره قلبه بيسوع نور العالم ، حين قال بفرح " أومن ياسيد " وسجد له !

بكى يسوع

(يوحنا ١١ :٣٥)

العدد الخامس والثلاثون من الاصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا الحبيب ، مكون من كلمتين فقط ، فهو اذن اصغر آيات الكتاب المقدس . آية صغيرة فى الحروف لكن عظيمة المعنى غنية بالرموز والعاطفة ! وأقول العاطفة لأن انجيل يوحنا البشير وواقعة ليعازر بالمذات لا يستكمل ادراكهما بالعقل والمنطق فحسب ، بل بالعاطفة العميقة والاحساس والمشاعر المعبرة.

ينقل يوحنا قارئه إلى بيت عنيا الصغيرة ، الواقعة تحت أقدام أورشليم العظيمة . ويدون بدقة صورة العائلة الصغيرة فى محنتها وآلامها ، بعد أن رقد ليعازر فى القبر وله أربعة أيام . يصور يوحنا جو المأساة ، والحزن والمعزين ، والبيت الفارغ ، والأختين اللتين كان يسوع يحبهما ، فى بساطة واقعية تجعلك تحس بما يكتب كما لو كنت أحد الحاضرين هناك فى بيت عنيا فى ذلك اليوم . .

وينتقل يسوع مع جمهور المعزين إلى جوار القبر المنحوت فى الصخرة . وفى المشهد صياح وأنين ودموع ، وقد هوت مريم ومرثا عند قدميه نائحتين فى استكانة وخضوع " لو كنت ههنا" ! ! وتجاوبت عبارات القوم من كل جانب " ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل ذاك أيضا لا يموت " ؟ ثم خط يوحنا الشاهد العيان انفعالات الرب فى وجهه الحزين ، حين طفرت الدموع من عينيه فى هدوء وصمت ، " بكى يسوع " !

ما أكبر هذه الحروف أيها الانجيلى ! ! بكى " ابن الانسان " ، " ابن البشر " ، "رجل الأوجاع ومختبر الأحزان". انسكبت الدموع على وجه من هو أبرع جمالا من كل بنى البشر !

بكى يسوع بأسى لأنه لم يخلق الناس ليموتوا بل للحياة . ولكنها الخطية ، والتعدى ، وصورة الاثم ، أدخلت الموت إلى العالم ، فاجتاز الموت إلى الجميع إذ أخطأ الجميع . وهكذا انسابت الدموع من عينى رب الحياة ، أمام صخرة القبر ، من أجل سائر الخليقة بسبب المعصية التى بها صارت الحياة مائتة . دموع لأجل ليعازر ، لأجل مريم ومرثا ، لأجل المعزين ، لأجل سائر البشر احياء وراقدين . . ممن كان للموت سلطان عليهم . دموع من ثبت فى قلبه العزم أن يشرب الكأس نفسها ، وأن يتذوق بنعمة الله ألم الموت كى يبتلع الموت إلى غلبة ، وينير الحياة والخلود !

فاطلقى المدموع ياعيونى ، أطلقيها مثل سيل تغسل الخطية والمعصية ، بتوبة القلب لخلاص النفس . ولا تخجلى من دموع تسيل ، فقد يكون فيها فيض الرجولة ! وانها فى ضعفها أمضى من السيف الصارم ذى الحدين ، مثلما كانت دموعه المنتصرة أمام قبر ليعازر الحبيب !

أحب إلى المنتهى

" أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم . . لأنى أعطيتكم مثالا " (يوحنا ١٣ :١٤ — ١٥)

قبيل آلام الرب كانت بين التلاميذ مشاجرة ، من يكون فيهم الأعظم ؟ أما نفسه الحزينة وانكسار قلبه ، فلم يتسع لها مكان فى أفكاهم المضطربة ومناقشاتهم المنحرفة ! وكم هو عجيب يا معلم أننا فى جهالة وضعف الأفكار ، نفعل ما كانوا يفعلونه فى تلك الليلة ! فلا نرى الصليب الذى كان فى ملامح جبينك الطاهر وتخفى عن أعيننا الجلجثة التى كانت تطل من عينيك الساهرتين.

وعندئذ كانت اللمسة الرقيقة ، فى خدمة غسل الأرجل ، ليلة العشاء الربانى .

وقد كان لتلك الخدمة ظل ورمز قديم ! . ففى سفر الخروج يقول الرب لموسى " خذ هارون وبنيه أمام المذبح ، واغسلهم بالماء " المغسل أولا ثم المذبح ثانيا ، غسل الماء مبكرا ابتداء ثم الذبيحة ، اشارة إلى خدمة يسوع ليلة آلامه . إذ أنه كرئيس كهنة يملك فى بيت الله ، ويخدم المسكن الحقيقى غير المصنوع بايادى الناس ، كان أمامه أن يغسل كهنته الجدد من كل ضعف قبل أن يشتركوا معه فى خدمة العهد الجديد . وهكذا كان ، انه قبل الجسد المكسور والدم المسفوك لرفع الخطايا والتفكير ، قد سبق غسل الأيدى والأرجل من التعديات والاساءات المتكررة كل يوم فى جهل وعدم معرفة .

وكانت أيضا خدمة محبة . فلم نستطع ريشة يوحنا الانجيلى أن تعطى صورة حية للمعلم بأكثر من هذه العبارة ، " يسوع أحب خاصته الذين فى العالم إلى المنتهى " ، هذا المنتهى الذى لا نهايه له ولا عمق . أن الكراهية تكشف عيوب الأخرين وتدينهم . لا تصلح ما فسد ، لا تحتمل الأخطاء ولا تغسل المدنس . أما المحبة فتتأنى وترفق ، لا تغضب لا تفرح بالاثم ، وتستر الخطايا والذنوب ، واذا كنا نعلم جيدا قيمة المحبه وعاطفتها فى لحظات وداع الآباء والأزواج والأولاد فيمكن أن نتصور لهيب محبته وهو يحاول أن يترك لهم شهادة تذكرهم به فى آخر لياليه معهم قبل الآلام !

وكانت خدمة تواضع ، ترمز بوضوح إلى سر التجسد العجيب . فقيامه عن العشاء ، يرمز إلى قيامه عن عرشه السماوى . وخلع ثيابه ، يرمز إلى خلع أمجاده الأولى . واتزاره بالمنشفة ، يرمز إلى اتخاذه جسد الضعف واخلائه نفسه فى هيئة العبـــد .

وفى تواضعه لم يرتفع يسوع أن يغسل ويمسح جميع الأرجل حتى الاسخريوطى ! فقد كان له نصيب فى هذه الخدمة ، ولكن الشيطان كان قد ملأ قلبه وحواسه وأفكاره العمياء البائسة . فما أنبل قلبك يا ملكى ، أنك تغسل الأرجل الدنسة التى أسلمتك ، والأقدام التى أسرعت وخانتك ، والأيادى التى امتدت وباعتك ، والشفاه الدنسة التى قبلتك بالخيانة !

والخدمة ترمز أيضا لخدمة الكنيسة ، فانه على نفس المثال تقدر الكنيسة أن تغسل الذين يلوثون ذواتهم بأتربة هذا العالم ، تغسلهم بالتوبة من كل ما يدنس ثيابهم البيضاء. وعلى المثال نجد نفس الخدمة من الآباء والرعاة نحو أولادهم ورعيتهم حيث ينبغى أن القوى يحتمل ضعف الضعفاء ، ويصلح الروحانيون بحكمة وتواضع كل من انسبق فأخذ فى زلة . وإذن لا بد أن يكون هناك تفتيش دقيق ، لابد من وجود مياه جارية فى المغسل بصورة مستمرة ولا بد من توبة صادقة واعتراف حسن بصفة دائمة. لا بد منها جميعها ، طالما اننا ههنا غرباء نخطئ ونعثر جميعنا ، وذلك من أجل كل أخ وأخت مات المسيح لأجله !

ولماذا تبدو خدمة كنيسة اليوم احيانا باهتة ، والرعاية غير مثمرة ؟ ربما لأننا لا نحب قدر ذرة مما كان يسوع يحب فى تلك الليلة . وربما لأننا نملك من الكرامة وكبرياء النفس ما يجعلنا غير قادرين على أن تنحنى ركبنا على الأرض بالقدر الكافى الذى جثت به ركبتاه فى تلك الليلة! وربما لأن الايمان فاتر والعزيمة خائرة والعيون ثقيلة بالنوم . وربما لأن فى العين خشبة ، تحجب عنك عيون اخوتك !

فكم نحن محتاجون أن نذكره جيدا ، وهو يخدم بتلك الصورة المجيدة ، محاولين أن نصنع كل شئ حسب المثال وراء خطواته . سالكين بروح التوبة والغسل الحقيقية التى كان الماء رمزا لها ، كى نكون دائما مستعدين بلا عيب وكقول الرسول " مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى " .

آمين

جرحت يا حبيبى !

" ما هذه الجروح فى يديك .. هذه التى جرحت بها فى بيت أحبائى " (زكريا ١٣ :٦)

اللحظات الأخيرة الوداعية فى بستان الجسثيمانى ، حيث أمضى يسوع ليلته فى مجاهدة وصلاة. وكم أثرت ساعة الجسثيمانى فى كل قارئ خاشع ، وانفعل بها كل قلب حزين وكل نفس متألمة !

هنا فى غمرة الهدوء الشامل ، لا يسمع إلا همس الريح لاغصان الزيتون وهى ترقب آلام قلبه الموجعة . وفى وحدته القاسية تساقطت تحت قدميه الأوراق الذابلة ، لتقدم عزاء الطبيعة لنفس كانت حزينة حتى الموت !

نام التلاميذ واستراحوا ، غلبهم التعب والحزن على أمرهم فاستسلموا لضعف الطبيعة البشرية . أما لهيب صلاته وتضرعاته ، وأنينه الخافت الموجع ، فقد امتلأ بها الليل الكبير الواسع ، وحملها إلى الآب ملاك نزل من السماء لحظة يقويه ، وقتما كان يشرب كأسه وحيدا ، ويدوس معصرته ويصطبغ بصبغة دموية قانية !

ومن ناحية أورشليم النائمة ، حبيبته وقاتلته ! حملت الرياح إليه أصوات الجمهور الكثيب مقبلا عليه . تفكروا بالباطل ، وقاموا معا على مسيح الرب ، ليلقوا عليه الأيادى أيادى الظلم . مؤامرة الأشرار ، طريق الخطاة ، ومجلس المستهزئين ، فقد كانت هذه ساعتهم وسلطان الظلمة !

وفى النور المشرق من بدر الفصح فى علاه ، وعلى ضوء مشاعلهم ، أبصر الرب وجوه الخزى وعرفها . أبصر الوجوه القبيحة والقسمات الغليظة والسواعد العنيفة . أبصر رجالا هو مزمع أن يموت لأجلهم ، مصالحا وفاديا ومخلصا ! ليغفر لهم الزلات والآثام ، ولا يعود يذكر تعدياتهم ، واحتيالهم الدنئ لموته .

وفى الصف الأول من الجماعة ، وجد واحدا يعرفه تمام المعرفة . فى المقدمة صاحب ، قسماته معروفة وملامحة محفوظة ، .فلماذا جئت يا صاحب هذه الساعة المظلمة ؟ لماذا اخترت رفقة هذه الجماعة الشريرة بدلا من رفقته ؟ ومن أين أنت قادم ، وإلى أين نهاية المسير ؟ ما الذى احتواه قلبك وأى شئ لامع قبضته يداك ؟ فى خطواتك تردد وخذلان ، وساقاك ترتجفان ، وفى عينك بريق جشع ولمعان مشين !

كل الخطاة غفرت خطاياهم ، وكل هذا الجمع سامحه يسوع ! لانهم فعلوا بجهل فى عدم معرفة' فلو عرفوا لما صلبوا رب المجد . أما أنت يا صاحبى ، يارجل سلامتى وأمانتى ، ياآكل خبزى ، فكان خيرا لك لو لم تولد ! الويل ليهوذا الاسخريوطى ، فان كل التجاديف والاساءات غفرت إلا خطيئته المميتة ، لأنه كان يعرف يسوع معرفة اليقين ، ابن الله الوحيد الحبيب .

ثلاث سنوات تتبعه يا صاحب ، وكم كانت رفقته رقيقة أيها التلميذ المتمرد ؟ ولكن ليس خفى لن يعرف ولا مكتوم لن يستعلن . فان الحسد والخيانة والجحود كشفت عن نفسها بعد أن ظلت مستترة فيك ثلاثة أعوام ، حين خرجت من

ولليمة بيت عنيا إلى جماعة المتآمرين على نفس يسوع البريئة . ساومتهم مساومة وضيعة على نفسه ، طلبت أكثر فطلبوا أقل ! تارة بالاغراء ، وتارة بالوعيد ، وفى النهاية تمت المشورة برضا الجانبين ، بثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى باعوه ، ملك الملوك !

جرحت يا حبيبى .. جرحت بيد واحد من مختاريك ، رجل أمانتك رفع عليك عقبه . وحين اشتهيت فى ذلك المساء أن تأكل الفصح مع الذين أحببتهم إلى المنتهى ، أجلسته إلى جوارك وسمع أنينك الخافت المتوجع وأنت تنطق عبارة الحزن العميق " الحق أقول لكم أن واحدا منكم سيسلمنى " . وكسرت الخبز وباركت ، ملأت الكأس وشكرت ، وقدمت له أيضا فلم يتراجع أو يلين !

ولما ائتزر يسوع بالمنشفة وصب الماء فى المغسل وغسل أرجل تلاميذه ، كانت منها قدمان أزمعتا السير فى وحل الجحود والخيانة . وفى النهاية غمس يسوع اللقمة فى الصحفة وأعطاها ليهوذا ، والتقت عينا الرب الصافيتان الدامعتان ، بنظرات الخيانة والسقوط فتمتمت الشفتان المرتعشتان " هل هو أنا يا معلم " ؟ وجاءت كلمة الحق الصريح " أنت قلت " .

وأغلق القلب فى وجه النعمة أغلاقا أخيرا ، وللوقت دخله الشيطان قام عن العشاء وخرج ليلا فى طريق معلوم ، وكلمات يسوع تصم أذنيه كالرعد القاصف " ما أنت فاعله فأفعله بأكثر سرعة " . وفى البستان الباكى ، جاء الصاحب على رأس الجماعة ! وتقدم إليه وقبله ، قبله صارت مثلا فى الجحود ، ونادى متلعثما

" سيدى ، يا معلم " . ولكنه من تلك الساعة لم يعد لك يا يهوذا سيدا أو معلما . قيدوه وأوثقوه أمامك ، لعنوه ولطموه قدامك وكأنما على لص خرجوا عليه بالسيوف والعصى .

يا يهوذا قد كتبت صفحة دينونتك بأناملك ، فأن الخطية المميتة تحمل معها بذرة قصاصها . القبلة الغاشة قد أحرقت شفتيك والثلاثون من الفضة الهبت كفيك .. هلاك لا ينعس ، نار لا تطفأ ، ودود لا يموت ! والصرخة المعذبة فى فمك " انى اسلمت دما بريئا " !

وفى الصباح الباكر كان يسوع خارجا حاملا صليبه ، وكان يهوذا معلقاً بين السماء والأرض ! تلك خاتمة مأساة نفس مدانة وحياة محزنة تركت طابعها المفجع فى كل الأجيال . سقطت عنه رتبته وأعطيت لآخر ، وحصد اللعنة والهلاك ، وله اسم الخزى إلى الأبد " يهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه " .

آمين

ملك السلام

" سلامى أعطيكم ، ليس كما يعطى العالم " (يوحنا ١٤ : ٢٧)

ان بستان الجسثمانى قد ازداد خلودا بتصريحاتك العجيبة! أحاطت بك جماعة الأشرار لتهلك نفسك البريئة ، واكتنفتك أحبال الهاوية والموت . وفى وقت تلك الشدة العصيبة كان من حقك الدفاع عن ذاتك وجماعتك ، حقا مشروعا فى الناموس وغير الناموس . أما أنت فرفضت مشورة الأقوياء ، ورردت السيف إلى الغمد !

يا الهى انك لا تسر بساق الرجل وقوة الفرس . لا تحب المركبات ، ولمعان السيوف . تأثر قلبك الرقيق بمنظر الدماء تسيل من أذن العبد ، بعدما قطعها سيف بطرس المنفعل ، فلمست الجرح لمستك الشفيقة وأبرأت !

وكان هذا تنفيذا مباشرا لتعاليم الخلود فى موعظة الجبل . والظروف الحرجة وأزمنة الشدة لم تغيرا حرفا من تعاليمك أو مبادئك . لا تزال ترفض مقاومة الشر بالشر ، مسالما جميع الناس ، ممن يعطفون ولا يعطفون . لا تقوم مملكتك على السيوف والرماح . وعندما تغلب العالم ، وتسود الرئاسات ، وتشهر السلاطين جهرا ، فليس هذا بامكانيات القوة البشرية' بل بسلطان الروح وقوة الصليب . وعجبا أن نرى امبراطورية الرومان بسيادة العنف ، قد سقطت بالسيف كما قامت بالسيف ، ولم يأت القرن الخامس حى كانت قلاعها ، أبراج كنائس المسيح !

ان روح الصليب تفعل فى النفس البشرية ، ما لا تستطيع ان تحققه ذرة أو صاروخ . ان روح البستان الرقيقة ، جعلت الجمع الشرير يسقط إلى الوراء من الفزع . وهو يستأسر لنفسه طاعة كل فكر وعقل حين يقول "سالموا جميع الناس" ، " أحبوا أعداءكم " ، لا تقاوموا الشر" ، " ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه " ، " رد سيفك للغمد " .

أما هو فقد شرب كأس الخلاص الدامية بالرضا وتراجعت جيوش ملائكته إلى الوراء حزينة مقيدة ، وبارادتة لم تتقدم لسحق أعدائه وهم يوثقونه ويلطمونه مستهزئين .

فماذا يمكن أن يقال فيك يا ملك السلام ؟

الشاهد العجيب

" وللوقت صاح الديك " (متى ٢٦ : ٧٤)

دوت صيحة الديك كمثل صوت رعد قاصف ، تردد صداة فى صفحات الاناجيل الأربعة كلها . ولازم صياحه اذنى سمعان بطرس من تلك الليلة المظلمة ، حتى اليوم الذى انخلع فيه مسكنه من الأرض !

صيحة الديك انقذت الرجل الذى قيل عنه إنه صاحب المفاتيح السمائية ، انقذته من هاوية الاسخريوطى السحيقة! نظر إليه الرب يسوع فتجدد قلب كان ناكرا جبانا ، وخرج التلميذ خارجا يكتب توبته الخالدة بدموع مريرة . وهكذا كان الطائر الجميل ، رسولا كاملا كما تعنى الرسالة .

كانت ليلة ليلاء ، وخيوط الفجر الأولى بدأت تتجمع من بعيد ، والقوم فى أورشليم يغطون فى نوم ثقيل . وفى أحد أركان المدينة العاصية كان مشهد محاكمة ظالمة ، والمحكوم عليه يشرب كأسه جرعة جرعة ، ويسكب ذاته النقية قطرة فقطرة ، وتحترق أحشاؤه بنار الاثم المضطرمة فى طبيعة البشر الطغاة . وخارجا فى الدهليز الكبير كان انسان يتخبط متعثرا ، كان تلميذ المعلم الكبير يهرول هاربا من العبيد والجوارى ! عوض أن يقف إلى جوار سيده الذى أحبه ، شاهدا أمينا فى ساعة لم يكن يسمع فيها سوى شهود الزور!
وذابت الأرض خجلا ، حينما اختار الله شاهدا آخر . اختار طائرا ملونا أعجم يصيح وسط الهدوء الشامل ، صيحة كلها خلاص وأمانة واعتراف . صيحة من

الأعماق ، فيها تذكير وتنبيه ورثاء ، من الاعجم إلى الانسان ، ومن الأخرس إلى من ينطقون !

دوت صيحته بلحن جميل واضح ، بينها كانت كلمات بطرس بصوت خافت مخجل " لست أعرف هذا الانسان " . فكان المديك شاهد أمانة واعتراف ، وسمعان شاهد زور وبهتان ! وصارت صيحة هذا الديك أنشودة ، غطت بجمالها على القبح والجحود فى كلمات سمعان ، التى لحنها بالقسم الكاذب ولعنات رددتها شفتاه .

كان سمعان يصيح " لست أعرف ذلك الرجل " ! والمديك يصيح بل تعرفه معرفة اليقين ! عاينته منذ البدء بالبصر والسمع والادراك والحياة ، ابن الانسان صانع المعجزات ، المسيح ابن الله الحى ، بل وجاهرت أمامه فى نفس تلك الليلة انك تضع ذاتك عنه إلى السجن وحتى الموت !

أيها الرسول الأمين . . ان كنا غير أمناء ، فانت الأعجم كنت أمينا ! وبصيحتك أيقظت ضميرا من سباته ، واشرقت فى قلب كان فى طريقه إلى الهاوية . بصيحتك رددت ضالا' وخلصت نفسا من موت إلى حياة عظيمة خالدة يضئ فيها نور المسيح إلى الأبد .

سارق السماء

" اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " (لوقا ٢٣ : ٤٢)

كانوا ثلاثة ، يسوع فى الوسط ، ولصان واحد عن يمينه والآخر عن يساره!

أما " يسوع " فاننى أتحير من اختياره لرفيقه فى ساعات حياته الأخيرة فى العالم . قد اختلط وامتزج بكل أنواع البشر ، من الأخيار والأشرار وأصحاب الميول الدينية والدنيوية ، ثم آثر أن يكون اللقاء الأخير مع رفيقين من طراز جديد ، ليعلن أنه ليس لدى الله محاباة !

إن المجتمع الإنسانى والعدالة الأرضية لفظا هذين اللصين من كورة الأحياء ، فشاءت السماء أن يكون لقاؤهما الأخير مع المسيح ! حيث تستطيع كل نفس جريحة خاطئة منكسرة ، أن تجد قلبا واحدا مفتوحا على مصراعيه ، بعد أن أغلقت فى وجهها كل القلوب والوسائل البشرية !

كان الشريكان من قطاع الطرق والمتمردين . أبغضهم العالم فأبغضوه ، وحقدوا على الساكنين فيه . تدرب قلباهما على الغدر والحقد والبغض ، وسارت أرجلهما سريعا فى طريق الدم والشهوة ومسالك الهلاك ، إلى أن شاءت الأقدار أن يقع الشريكان فى قبضة العدالة الأرضية . ويساق كلاهما للموت صلبا عبرة للعتيدين أن يفجروا . .

ومن خلال قضبان السجن والأسر المرير كانا ينتظران بصيصا من أمل ، فالفصح على الأبواب وللوالى أن يطلق كل فصح أحد أسراه . ولكن خيط الأمل

الأخير قطع حين دوى فى الفضاء صوت الشعب الصاخب " أطلق لنا باراباس " ، وخرج باراباس إلى الحرية والحياة ، لأن البار قد حمل عنه قصاص الموت والعار !

ولم يدرك اللصان شيئا عن ذلك اللقاء العجيب الذى كان مقبلا عليهما مع الرفيق الجديد ، ولم يفهم " ديماس " أن مجرى ساعات حياته المقبلة سيثير فى قلوب كل الأجيال أعمق الاحساسات وأدق المشاعر المؤثرة .

ودنت ساعة اللقاء خارج أبراج أورشليم العاصية ، عند " الجلجثة " . وهناك فوق الرابية أمعن اللصان النظر فى الشريك الثالث ، فلم ينظرا إلا إنسانا فاق البشر بهاء وجمالا ، وقد غطى العار والحزن وجهه وانسكب دمه من جراحاته التى جرح بها فى بيت خاصته وأحبائه .

وأخيرا رفعت الخشبات ، وعليها أصحابها الثلاثة !

ونظر الرفيقان فى آلامهما إلى الصليب الأوسط وصاحبه المعذب ، ثم انطلقت الألسنة التى لم تعرف إلا السباب والشتائم كوسيلة للمخاطبة ، انطلقت لتجدف وتلعن ذلك الشريك الضعيف ، بلا سبب ، مشتركين مع جمهور العابرين والساخطين ، بينما قضيته مكتوبة على صليبه "يسوع الناصرى ملك اليهود" . وعبر الوقت بطيئا ، وماتت عبارات التهكم والتجديف على شفاههما الباهتة الجافة ، فأخلدا إلى الصمت والسكون .

وتكلم ابن " الانسان " أخيرا ! تحركت الشفاه الحكيمة بعد صمت طويل ، لتخرج منها عبارات لا يسوغ لبشر أن ينطق بها . تكلم الصامت ! فخرجت مع كلماته البسيطة تلك النعمة الجارفة والمسامحة العميقة ، لتأسر وتغزو حتى أقسى القلوب الغادرة والغليظة . . قدم صك الغفران والتسامح مجانا لصالبيه ومبغضيه وطالبي نفسه البارة ، متضرعا لأجلهم ، " يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون " !

ولم يكن ممكنا أن تعبر هذه العبارة الأبدية دون أن تثمر.
وكما أن الشمس تصهر الشمع بحرارتها ، ولكنها تقسى الطين وتحجره ، هكذا غزت كلماته الملتهبة قلب " ديماس " اللص اليمين ، ففتحت أبوابه التى أوصدت طويلا واندفعت إلى أعمق أعماق نفسه المتمردة . . ولكنها ، وقفت عاجزة حائرة أمام قلب مغلق حمله اللص الأيسر !

وفى خلال فترات السكون والألم عبرت أمام ناظرى "ديماس" صفحة حياته المظلمة القاتمة . حياة بلا رجاء ، بلا إله بلا سلام ، مضت سريعا كما بدأت فى ظلمة الخطيئة الخاطئة جدا ومسالك الشر الملتوية .
وإذا كان زمان الحياة الذى مضى باطلا ، قد خلق منه انسانا فاقد الحس والشعور فى نظر العالم ، فان بقية من ضمير طال سباته قد تيقظت فى ساعاته الأخيرة وهو يعانى سكرات الموت ، على صوت تلك الكلمات العذبة المؤثرة التى خرجت من فم المصلوب العجيب !

كان اللص الأيسر لازال يتكلم بلسان التهكم موجها عباراته إلى يسوع " خلص نفسك وإيانا " ، أما اللص اليمين فتكلم بلغة التوبة والاعتراف الحسن . أدرك فى لحظات ما عجز بيلاطس البنطى ورجال الكهنوت اليهودى عن إدراكه ، وصاح مؤنبا رفيقه " أفلا تخاف الله " ؟ الذى لم يعرف فى قاموس حياته معنى الشفقة ، أدرك وهو على أبواب الأبدية أن رأس الحكمة مخافة الله . فاعترف انه بعدل ينال استحقاق ما فعل ، ومع كونه لم يهتم طيلة حياته أن يعرف حرفا واحدا من الناموس ، فانه أدرك أخيرا أن الدينونة عادلة' وذلك فقط فى نور المسيح مصلوبا حين جاهر ديماس عن يسوع قائلا " أما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله " .

طوباك أيها اللص اليمين ، لأن هذه كانت الشهادة الوحيدة الحسنة التى تفوه بها هذا الغريب ليسوع ، حين لم يكن هناك ولا شاهد واحد يقف إلى جوار " ابن الانسان " ، حتى ولا "بطرس" صاحب المفاتيح السمائية الذى كان فى الخارج " يبكى بكاء مرا " .

كان خلاص " ديماس" فى تلك اللحظة أقرب إليه من ظله' فتلفت إلى يساره ليرى مشهدا كان حاسما فى حياته .

رأى الدم والعرق والآلام والشوك والجراحات .

رأى المحبة والغفران والمسامحة والسلام مجتمعة معا .

ومن وراء هذه جميعها رأى مخلصه وملكه المصلوب ودخلت النعمة الجارفة إلى أعماق قلبه الكسير ، فصاح صيحة داوية رددتها أجيال المؤمنين وراءه " أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " .

وعبرت على نفس المسيح الحزينة ، سحائب السرور والابتهاج فانه من تعب نفسه رأى وشبع ، فى انسان كان ضالا فوجد ، وكان ميتا فعاش ! كانت كلمات اللص فى أذنيه أوقع من ترتيل الملائكة عذوبة ، فأجاب الرب ليهب اللص ميعادا لم ينله أحد قط " اليوم تكون معى فى الفردوس " !

وانهت مغامرة لص عند هذه الكلمات ، لص ليس كمثل كل اللصوص ! لأنه لما كان لصا بطبيعته طوال أيام حياته ، فقد شاء وهو على أبواب الأبدية أن يغامر فى سرقة من نوع جديد ، سرقة السماء وفردوس النعيم . فاختطفها الأمين قبل سائر الأحياء والراقدين ! !

وأظلمت الشمس من الظهيرة ثلاث ساعات . وأبصر سارق السماء قوة ابن الله تعمل فيه ، وهوى حمل الخطايا الثقيلة تحت أقدام يسوع ليختفى مرة واحدة إلى الأبد فى قطرات الدم الثمين ! وأنصت الرجل إلى ملكه وهو ينطق بعبارات الأبدية ، الواحدة تلو الأخرى ، إلى أن أسلم روحه البارة بعد أن أكمل كل شئ
وحين كانت الشمس الغاربة تودع أورشليم العاصية ، من وراء الأفق الأحمر ، جاء عسكر الرومان فكسروا سيقان اللصين . وبينما كان سارق السماء يلفظ أنفاسه و نظر إلى ملكه . . فعاين الحربة والجنب المطعون ، وينبوع الدم والماء . ثم انطلق إلى لقاء سيده فى الفردوس المسروق ، كحسب وعده الأمين !

أيها القارئ العزيز ، ليتك تتعلم الحكمة والأمانة من ذلك اللص الطوباوى ، الذى أدرك قيمة النفس والحياة والخلود فى ساعته الأخيرة . هى نظرة واحدة إلى

المصلوب وأنت واقف فى ظلال صليبه ، حيث سال ينبوع من دم الغفران والتجديد ، قطرات من الحياة الأبدية . فقم واغتسل واسرق خلاصك ورنم مع اللص اليمين " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " .

لماذا الموت ؟

" يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة . . لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد . . لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس ، ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية " (عبرانيين ٢ : ٩ ، ١٤ ، ١٥)

اراد كاتب السفر بهذه الكلمات ، أكثر من مجرد الموت لأنها تنطوى على الموت فى حالة الوعى والادراك ، واختبار الموت بأتم معناه . وحين أفكر فى يسوع وهو يذوق الموت ، يخيل إلى أنه هو وحده الذى تذوق الموت حقاً !

فانه لم يتذوق موت الجسد فقط ، ولكنه وهو البار الطاهر بلا خطية أو شبة خطية ، قدم ذاته بارادة واعية ووضعها بقبول غير مقيد ، ليتذوق بالسرور أفظع آلام الموت — أعنى الانفصال — الذى هو نتيجة الخطية وشوكتها . لذلك حق له فى الصليب أن يتوجع وهو يرفع صوته الحزين بنبرات الأسى العميقة " إلهى إلهى لماذا تركتنى " ؟

وقد فعل ذلك بنعمة الله الغير مستقصاة ، بقداسة ورضا ، وبحب عظيم فائق من أجل كل البشر الذين يخطئون ، نعم ومن اجل كل واحد فى الجسد فصار لاى إنسان حق الإشتراك من أجل كل واحد فى الجسد ، فصار لأى انسان حق الاشتراك فى هذا الامتياز الذى جاء المسيح لأجله ، بالايمان الحى فيه .

ولا يستصعب أحد الاعتراف بتلك الحقيقة ، فانه لم يكن أمرا شائنا ولا يحط من مجد ابن الله . بل ان ألم الموت صار بالنسبة له اكليل مجد وكرامة ، ورفعة فوق رفعة . اذ أعطى اسما فوق كل اسم ، وهو آت أيضا بأبناء كثيرين إلى المجد بعد أن كمل بالآلام .

وقد تذوق يسوع الموت ، لكى يعتقنا من خوف الخطية والموت . فانه على الرغم من البسالة والشجاعة التى يتحلى بها الأبطال وصلاب الرجال ، كان الخوف من الموت يسود الجميع . وخوف الموت هو خاتمة بلايا الانسان وآخر شروره ، ويثير الرعب المريع من توقع الدينونة والجزاء ، وصرامة تبكيت الضمير وانفعالاته . ومن هذه الحقيقة استمدت شرائع الله قوتها وسيطرتها على كل الناس فى كل الأجيال .

وجاء المسيح ليزيل الالام الفظيعة التى تصاحب تبكيت الضمير ، ليقدس صاحب الضمير ويعتق الذين استعبدهم الخوف من الموت والقصاص والدينونة . وتم هذا بنصرته التامة على الموت ، وعلى ذلك الذى له سلطان الموت أى أبليس .

ففى المسيح ينتفى الخوف من الموت ، وما بعد الموت ! فلا شئ من الدينونة على الذين هم فى المسيح يسوع ، ولا عبودية خوف ، بل حرية مجد أولاد الله وأحبائه ، ولا انفصال وعزلة موحشة ، بل الجميع فى الواحد ومن الواحد .

إذ هو كرز بالانطلاق للأرواح التى فى السجن وفى الهاوية ، مطلقاً اياها إلى الموضع الذى هرب منه الخوف والحزن والكآبة والتنهد ، لأن الله معنا إلى الأبد .

آمين

خرستوس أنيستى

" ليس هو ههنا ، لكنه قام " (لوقا ٢٤ : ٦)

كانت الشمس تميل إلى المغيب ، والسبت يلوح ، وقد أغلقوا عليه القبر بحجر عظيم . ثم تلاشت أصوات المريمات الهالعة ، وسكن صوت النواح والأوجاع ، وخفت وقع الأقدام المتباعدة .

وفى هذه الساعة لم توجد جماعة أكثر ضعفا وحزنا وانكسارا من جماعة الرب . فكيف كان ممكنا أن يحدث بعدئذ كل هذا الذى حدث ؟ القصبات المرضوضة صارت أعمدة وهياكل ! انقلب الحزن فرحا ، والهوان كرامة ، والخزى مجدا ! والعشرات القليلة صارت ربوات وربوات ، مثل رمل البحر ونجوم السماء فى الكثرة ! ليست هناك إلا إجابة واحدة تشرح كل ما كان ، أن يسوع قد قام من بين الأموات . القبر فارغ والحجر مدحرج و ورئيس الحياة ليس ههنا بل فى أعلى علو السموات !

ربنا نفسه يسوع المسيح ، بكل سلطان وارادة وثقة ، أسلم نفسه . وقع فى الأرض ليموت ، ثم يحيا بقوة ومجد عظيم . ان اقدامه عرفت الطريق إلى القبر ، واقدامه أيضا تعرف الطريق خارج القبر . يعرف كيف يدخل ، ويعرف كيف يكون الخروج والاجتياز . يعرف جيدا أن يقول " أنا اضجعت ونمت واستيقظت " ، ويعنى جيدا ما نادى به " انقضوا هذا الهيكل وأنا أقيمه فى ثلاثة أيام " ،

مشيرا إلى هيكل جسده . حقاً هو القيامة والحياة . إنه إله أحياء لا إله أموات.
وهكذا كانت قيامتك يا يسوع ، لا تقاومها حراسة أو تمنعها سيوف أو رماح .

وبالقيامة تمت خدمة الفداء ، وبدأت الصفحة الأولى من السفر الجديد ، سفر الكنيسة المنتصرة ، التى لا نهاية لأعمالها وأيامها إلى دهر الدهور . بدأت هذه الصفحة الأولى فى الصباح الباكر من أول ذلك الأسبوع الفاصل فى التاريخ . فمن تلك الساعة المبكرة إلى اليوم يعطى يسوع اسما فوق كل اسم ومجدا فوق كل مجد ، فى المشارق والمغارب حيث يكرز بقيامته المفرحة .

ولقد حارب أعداء الكنيسة ايمان الكنيسة بالاضطهاد فى البداية ، فكانت حقيقة القيامة هى الصخرة التى تحطم عليها الاضطهاد . واليوم يدرك اللذين لا يؤمنون ، ان القيامة أيضا هى التى تقف حجر معثرة بينهم وبين الذين قبلوه ، ولكننا نسائلهم لماذا تعد أمرا لا يصدق ، القيامة من بين الأموات ؟
الذى أوقف مشهد جنازة محزنة خارج أبواب " نايين" ، ليرد شابا وحيدا إلى أمه من براثن الموت ، ألا يقدر هو نفسه أن يجتاز القبر المغلق إلى فجر القيامة والخلود ؟ والذى أذهل العالم وتحدى البشرية أمام مغارة رقد فيها جسد ليعازر أربعة أيام ، وأخرج الميت خارجا مستسلما لنبرات الذى دعاه من الظلمة إلى النور العجيب ، ألا يقدر أن يقيم نفسه ؟

وقالوا إنها اشاعة ! فمن سمع باشاعة استطاعت أن تغير مجرى التاريخ ، وتبطل الرئاسات والسلاطين ، وتجدد حياة الربوات والملايين ؟

كل شئ تغير لانه قام . فقد حمل يسوع لتلاميذه أخبار الحياة الجديدة ، حياة تمتد امتدادا عجيبا بلا نهاية أيام إلى الأبدية . حياة المدينة الجديدة ، مدينة

الله المزينة لأجل عريسها الحبيب ، بلا ألم وبلا دموع . وما أعذب الأخبار السارة والكلمات السعيدة التى أنصت إليها أحباؤه ، طوال الأربعين يوما بعد القيامة .

فلماذا نخاف نحن اليوم ؟ أن المجهول كان يحمل معه دائما الخوف والحزن والقلق للإنسان ، ولكن بعد ما قام يسوع ، لا خوف أو خشية من الغد لأنه أعلمنا بكل شئ . ثق فقط أيها العزيز ، ولا تعود تخاف بل آمن بعبارته العزيزة أنه يقيمك معه فى اليوم الأخير ، ووعده الأمين " من كان حيا وآمن بى فلن يرى الموت إلى الأبد " .

فى هذا الايمان كان بولس يمات كل النهار ، وهذا من أجل الرجاء الذى زرعته فيه قيامة الرب. وفى هذا الرجاء كان بطرس يمنطقه واحد وآخر يحمله إلى الصليب ، لتنتزع حياته الأرضية بعنف وقسوة . لكن هيئة المسيح الذى قام حيا وأوصاه ثلاثا أن يحبه ويرعى خرافه ، كانت أقوى من أن يفصله عنه الموت الجسدى . وفى هذا الرجاء كان اسطفانوس الشهيد الأول يتمزق ويموت ، ولكن وجهه الملائكى المشرق كان شاخصا إلى علو السماء ، ليرى ابن الله ومجده قائما حيا عن يمين العظمة .

هنالك حيث أخذته السحابة عن عيوننا ، زمنا ؛ إلى أن يجئ.

مارمرقس

" وتبعه شاب . . " (مرقس ١٤ : ٥١)

فى ليلة الآلام الأخيرة حينما سارت قدماه فى ساعات جهاده العظيم فى البستان ، وأمام محاكميه وقاتليه . حين تبادلته الأيدى الجاهلة وبصقت عليه أفواه الكلاب وجلداته أذرع الأثمة والخطاة . . كان ابن الله ينسحق بالآلام ، وحيدا من الأحباء والأصدقاء ، وحيدا من التلاميذ المعزين والشهود الأمناء . وكانت هذه الوحدة وهذا الخفاء من الطبيعة البشرية الخائفة الضعيفة المتغيرة ، أمر على نفسه من الجلد والصلب والجراح !

كان يعاين الوحدة حينما باعه التلميذ الخائن رخيصا لقاء ثلاثين من الفضة . . وكانت القبلة الغاشة الآثمة تجوز فى نفسه الرقيقة مثل سيف ذى حدين ثم لما صاح الديك كان ينظر لبطرس بعينين التهبتا بالرثاء الحزين ، للصخرة صاحب المواعيد وحامل المفاتيح السمائية !

وعندما أسلم يسوع تحت أستار ليل مظلم ، كان يتبعه من بعيد شاب لابسا ازارا على عريه تبعه فى خطوات متعثرة ، فى قلبه خوف عظيم ، وفى نفسه رعب وشك . وفى جو من الهلع أمسكه الشبان على أنه واحد من أتباع يسوع وتلاميذه و وللوقت تنكر لمعلمه الوديع ، تنكر مثل الآخرين ! وانطلق هاربا وترك الازار بين أيديهم ، على عريه المخزى !

كانت هذه هى الصفحة التى افتتح بها القديس مرقس حياته وجهاده من أجل المسيح ! وهو وحده الذى رواها ، ولم يذكر اسمه فى الواقعة تجلا من ضعف بشريته !

ولكن ! الذى رأى اسرائيل فى شخص يعقوب ، ودعا داود من وسط الأغنام لرعاية شعب ، والذى رأى الصخرة فى ضعف سمعان ، وعاين بولس فى قسوة شاول الطرسوسى ، هو الذى جعل من آنية الهوان أنية الكرامة ، ومن القصبة المرضوضة عمودا فى هيكله ، ومن الفتيلة المدخنة أوقد سراجا وفى الضعف أكمل قوته !

فبيد مقتدرة وذراع رفيعة جعل الرب من الشاب الهارب كاروزا عظيما ومبشرا ، خادما أمينا مخلصا حتى الموت ، وانجيليا كان انجيله أول بشارة مفرحة خرجت أخبارها للعالم ، وأول رسالة مكتوبة تسلمها أباؤنا الأولون عن ابن الله .

وهذه هى روح المسيحية ، النعمة العظيمة التى بيسوع صارت ! روح الايمان المجيد ، وهذا ليس منكم بل هو عطية الله . ليس مرقس ، بل نعمة التى ولدته الولادة الجديدة ، ليس برهان العلم والعقل والمنطق ، بل قوة النعمة التى تجدد القلب وتنقى النفس وتخلق الانسان الجديد ليكون شريك الطبيعة الالهية . وهكذا تشددت اليدان المسترخيتان ، وقومت الركب المخلعة ، وقدم ابن الله للخليقة مرقس البشير المفرز من بطن أمه لاستنارة العالم بنور الانجيل.!

+ + +

وكانت حياة الكاروز مجاهدة حسنة ، مع عوامل كثيرة واجهته وهو بشر تحت الآلام مثلنا ! وإذا ألقينا النور على أركان حياته كما دونتها الأسفار والرسائل ، لمسنا اشعاعا من الجمال أراد الله أن يبرزه لنا ، لنذكر انسانا بشرنا بكلمة الحياة ونتمثل بايمانه ونتعظ بنهاية سيرته !

جاهد مرقس الكاروز ، لأجل انجيله الذى وصلت بشارته إلى المشارق والمغارب ، بدايته انجيل يسوع المسيح ابن الله' ونهايته آمين . والذين ينادون بالانجيل من الانجيل يعيشون ، ويقتاتون بخبز سماوى باق للحياة . ولأجل هذا الانجيل استبعد نفسه للجميع ، كى يربح الأكثرين . ليس يونانى ولا رومانى ولا مصرى ، ليس ختان ولا غرلة ، ليس غنى أو فقير ، عبد أو حر ، بل انجيل واحد وايمان واحد ورب واحد يكرز به فى العالم أجمع للخلاص . لأجل الانجيل عاش مرقس وجاهد ، ورقد ! فكان جزءا من روحه وقلبه ، وشعاره " خير لى أن أموت من ان يعطل أحد فخرى " . . كل هذه المجاهدة ، كى يكون شريكا فى الانجيل ، وقد كان!

وقد جاهد مرقس الكاروز جهاد جندى صالح للمسيح ، كى يرضى من جنده . . لم يتجند بنفقة نفسه لنفسه ، بل ليرضى من جنده . ترك أمواله ليكون له فى السماويات مال أفضل ، حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب سارقون . ترك أبا وأما ، اخوة وأخوات ليصير أخا للمؤمنين فى كنيسة الله عمود الحق وقاعدته ! افتقر كى يغنى بفقرة الكثيرين ، بغنى المسيح الذى لا يستقصى .

كجندى صالح حمل ترس الايمان ، ولبس خوذة الخلاص وتمنطق بالحق ، ورفع الكلمة الحية الفعالة التى هدمت الحصون ، مثل سيف ذى حدين خارق إلى أعماق النفس . تلك هى حصون الوثنية الرومانية التى تملكت العالم القديم ، وغزاها الجندى الأمين وكانت تخضع له حيثما تنقل فى اليهودية وأسيا وسواحل أفريقيا الطويلة ، ومن المغرب إلى هذه الارض التى نقيم عليها الآن .

وكان جهاد الجندى ضد الوثنية القديمة ، شاقا ومجيدا . جهاد الروحيات ضد الماديات ، ملكوت السماوات أمام ممالك الارض وامبراطورية هائلة ملكت المشارق والمغارب . كان انجيل الخلاص يواجه أناجيل ساقطة تنادى بعبادة المخلوق دون الخالق ، وابدال مجد الله الذى لا يفنى بصورة الانسان الفانية . وهكذا استنارت الخليقة المظلمة بنور الانجيل الساطع ، بعدما استعبدت لذهن مرفوض وسبى فلسفات ضالة .

+ + +

وعاش مرقس الكاروز حياة الغرباء على الأرض ، جال متغربا بلا وطن ! لم تكن له مدينة باقية ، اذ كان يطلب العتيدة والوطن الأفضل السماوى . وفى مجاهدته كمبشر حفيت نعاله بين اليهودية وآسيا القديمة وايطاليا وسواحل افريقيا ، ومصر ، فى سياحة عظيمة لا نهائية ، انتهت بارتحاله إلى أحضان ابراهيم واسحق ويعقوب !

تعلم الألم والضيق ، وكابد الاضطهاد والضنك . فى الأسفار ، فى أخطار طريق ، ولصوص ، اخوة كذبة ، والضيقات والاضطهادات فوق كل طاقة ، مماتا طوال النهار. فقد كان يدرك أنه وهب لنا فى المسيح الايمان مع الآلام ، وانه فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا !

ومرقس الكاروز قد جاهد أيضا جهاد التلميذ ، وصفة التلمذة العظيمة هى الطاعة . تعلم الطاعة فى الخدمة وهو شاب بين يدى برنابا وبولس ، وفى الخدمة بين يدى بولس الرسول الذى ذكره مع أسماء قلائل ، بقوا مخلصين له حتى النهاية وهو طريح السجن فى القيود . فذكره لتيموثاوس قائلا " احضر مرقس معك لأنه نافع لى للخدمة " . وتعلم الطاعة فى الخدمة تحت قدمى بطرس الرسول ، الذى أحبه محبة غالية فدعاه فى رسائله " مرقس ابنى " .

وأخيرا كانت مجاهدة مرقس الكاروز ، حتى إلى الدم . ففى هذه البقاع التى نعيش عليها ، كانت تقوم حضارة وثنية باطشة ، تسندها قوة الشر فى عالم القياصرة القديم . ولم يكن ممكنا أن يملك البر مع الاثم ، المسيح مع بليعال ، والنور مع الظلمة . فقام الرؤساء ، وتآمر سلاطين وأصنام الهياكل ، لهلاك رجل طاهر مثل الملائكة ، ومقاومة انجيل غزا قلوب الناس .

وكانت ساعتهم وسلطان الظلمة ، حين أوثقوه وجروه فى شوارع الاسكندرية ، وليس التلميذ بأفضل من معلمه ! وفى هزء وسخرية وعار اختلط اللحم بالدم بالطريق فى جراحاته ، وتمررت نفسه وتجرع كأس الآلام كاملة .

وعبرت حياته أمام عينيه فى ساعة انتصاره كبخار يتلاشى ! الشاب الذى حمل جرة الماء ، الشاب الذى ترك الأزار وهرب عاريا ، يوم الروح القدس ، السياحة الطويلة مع برنابا وبولس وبطرس ثم سياحته الأخيرة إلى هذه البلاد ، والانجيل الذى رسم حروفه بأصابعه .

وهتف المجاهد المنتصر " من سيفصلنى عن محبة المسيح ؟ شدة ، ضيق ، سيف ، عرى ، جوع ، عطش ، آلام حاضرة أم مستقبلة ؟ ، ان آلام الزمان الحاضرة لا تقاس بالمجد العتيد .." ثم انحنى ليوضع الاكليل على رأسه الطاهرة ، وانطلقت نفسه لتكون مع المسيح ، هذا أفضل جدا ! الخاتمة المجيدة للسياحة العظيمة إلى أورشليم السمائية .

من منكم كان يعثر ومرقس لا يعثر ، من يضعف وهو لا يلتهب ؟ . لم تجاهدوا بعد إلى الدم ، أما هو فحسب دماه رخيصة لاجل اسم الرب . "جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الايمان ، وأخيرا قد وضع لى أكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل ، وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا " .

وأخشى أن يذكرنا ذلك القديس اليوم ، بأسف ولوعة . فأن جهاده كان لأجلى ولأجلك ، رعى الرعية ليشرب من لبن الرعية ، وغرس الكرم ليأكل من ثمر الكرم ، زرع الزارع على الرجاء ليحصد فينا ثلاثين وستين ومائة !

فارحموا أنفسكم يا أقباط مصر ! ولا يفسدوا الزرع الذى زرعه ، والمجاهدة التى اكتوى بها ، والدم الذى اغتسل فيه ! بل قدموا له الثمر المتكاثر ، اللبن العديم الغش ، عصير الكرمة التي وهب حياته لها ، لئلا نحزن روحه المجيدة فى خلودة ، ونصير بعد عارا .

اليوم أن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم . اذكروا مرشدكم وكاروزكم ، الذى بشركم بكلمة الحياة تمثلوا . به ، وأنظروا إلى نهاية سيرته ، عسى الله يقبل شفاعته عنا كل حين .

إقبلونى حتى كقاضى الظلم !

" ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل " (لوقا ١٨ : ١)

هذا الجيل لا يمارس الصلاة ، لأنه لا يؤمن بفاعليتها . أقول هذا وفى الأفكار بلبلة ، لا يعلم مداها سوى الخالق وحده . فقد دخلت إلى الكنيسة النظورة مباحثات وتعاليم غريبة عليها ، لها صبغة التطور العالمى ، ولم تكن قط من تعاليم رب الكنيسة حين ترك رسالته لتلاميذه . تلك الرسالة عينها التى هى فى غنى عن كل تطور وزيادة أو نقصان وظل دوران ! ففى الوقت الذى يتحدث فيه رجالات الاصلاح ، حتى بألسنة وأسماء مسيحية لسنا نسمع كثيرا عن الصلاة لأجل الاصلاح الكنسى العميق !

نحن نترك حكمة الله ، لنثبت حكمة أنفسنا . نتخلى عن موارد المياه إلى الآبار المشققة التى لا تضبط ماء ، وإلى الغيوم الجافة التى لا تمطر ، وإلى خبز بائد لا شبع فيه . وان مجتمعا يدعى أنه مسيحى ولا يمارس الصلاة ، يكون محروما من أول أصول المسيحية الأصلية ، كمدينة لا حارس لها ولا أسوار . فاسمعوا اذن الرب ولا تضلوا " ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل " .

هذا هو حجر الزاوية فى بناء كنيسة المؤمنين . صلاة مستمرة ، صلاة نارية ، صلاة فردية واجتماعية . صلوات خاصة وعامة ، ليلا ونهارا ، فى وقت مناسب وغير مناسب . نرفعها بالروح والحق ، بلجاجة واصرار ، بعبارات منطوق بها

وبأنات خفية يشفع فيها الروح ! وكما قال القديس بولس " لا تكونوا مهتمين بشئ إلا بالصلاة مع الشكر ، كى تعلم طلباتكم لدى الرب يسوع " .

وموضوع تأملنا هو المثل الالهى الذى أعطاه لنا الرب يسوع ، مليئا بالتعزية غنيا بالسلام العميق ، فى قصة انصاف قاضى الظلم للأرملة المسكينة .

أيها الرب سيدنا ، عجيب كيف تحتمل غلاظة رقابنا وصلابة قلوبنا وانهيار ايماننا ! وتضع ذاتك موضع قاضى الظلم الذى انصف لجاجة الأرملة ، فتقول لنا ، أقبلونى . . ولو كقاضى الظلم ! بينما أنت الذى يقول فيك صاحب المزمور " أحببت البر وأبغضت الظلم ، لذلك مسحك الله بزيت الابتهاج قضيب استقامة قضيب ملكك " . " تذكر المسكين تقضى للمحتاج ، تجرى الخبز للجياع ، وتنصف الأرملة وتغيث اليتيم " .

وقد أنصف قاضى الأرملة ، قضيتها ، من خصوم أشداء يأكلون بيوت الأرامل . وكانت أسوأ منا حالا ، فقيرة معدمة غريبة مجهولة ، بلا عون وبلا وسيط . أما انتم فلستم عنه غرباء ! بل سفراء ، وأولاد ، كهنة ، ومختارون ، وأولاد الملكوت والموعد ، أبناء للنور وشركاء للطبيعة الالهية .

ويعوزنى الوقت لأخبركم بالألقاب المجيدة والامتيازات الغنية التى منه ، والأسماء التى ارتبطنا بها معه حتى النفس الأخير . ولكن كثيرين يتجاهلون امتيازهم واسماءهم سهوا أو عمدا ، فى أيام لا يوجد فيها كثيرا ايمان ربنا يسوع على الأرض .

+ + +

وينتقل المثل إلى اللجاجة والاصرار ، صراخ الأرملة بالليل والنهار ، ابتهال وطلبه وسؤال ، ان "انصفنى من خصمى". وهكذا كان ايليا ، سبع مرات يصرخ إليه ، ان تمطر سماؤه. وبولس ثلاث مرات يتضرع بالحاح ، ان تفارقه شوكة جسده. والكنيسة الأولى رفعت صلواتها بلجاجة من أجل بطرس وهو فى السجن .

بل حتى الرب يسوع نفسه بدموع وصراخ وطلبات ، بعرق ودم ، بمجاهدة ولجاجة عظيمة . ثلاث مرات وهو جاث على ركبتيه فى الجثسيمانى ، بانات لا ينطق بها ، من أجل عبور الكأس .

أقول هذا لتخجيلكم ، لأننا لا نصر على الصلاة ولا نداوم على الطلبة . مع أننا لا نضطهد فى هذه الأيام لأجل الصلاة. كما كان الأولون يضطهدون ويعذبون . فكلنا يعرف أن علانية دانيال فى الصلاة لربه ، تسبب فى القائه إلى الأسود الكاسرة . أما نحن فلا نصلى بلجاجة أو بدون لجاجة! هناك تعليم آخر لا ينادى بالصلاة ، يتزعمه الذين لا يصلون . فتور شامل بلا ايمان ، خطية رابضة عند باب القلب ، تخرس اللسان عن عبارات للصلاة .

وقد كان انصاف قاضى الأرملة بعد امهال ، والفارق متسع بين الامهال والاهمال . فلنحسب اذن اناة ربنا وامهاله' خلاصا . فهو لا يهمل كقول الجهال وغير العارفين' بل ختم كل شئ بالمواعيد والأزمنة والساعات ، حسب علمه

السابق ومشورته العميقة المحتومة . أعد لكل أمر ساعته ، ليس بحكمة هذا الدهر التى تبطل ، بل بحكمة الله الكاملة بين الـــكاملين .

قد تبدو أمامنا ارادته ، أحيانا غامضة ومستترة ، وننظر إليها كما إلى لغز محير . قد نعرفها بعض المعرفة ، أو نجهلها بعض الجهل ، ولن نتوصل إلى عمقها طالما نحن نلبس جسد الضعف والهوان . ولكننا سنعرفها كل المعرفة يوم نخلع هذا الجسد ، وحين نرفع البرقع عن قلوبنا لنأتى إلى مناظر الرب واعلاناته وجها لوجه!

+ + +

وعلى أى حال ، فان الله ينصف الصلاة حتما بعد لجاجة وامهال . وليست هناك صلاة بالروح وبالحق ، ولا تستجاب . ولى تأمل رقيق فى هذا الانصاف ، فقد تكون الاستجابة الصلاة حرفية ، ولكن هناك أيضا استجابة وانصاف بالروح أفضل من كل حرف .

كانت هناك استجابة حرفية لصلاة ايليا النبى القديم العظيم ، حين أمطرت السماء بصلاته النارية ، بعد ما كانت اغلقت ثلاث سنين وستة أشهر . وكانت هناك استجابة حرفية لصلوات النساء القديسات قديما ، سارة ورفقه وحنه واليصابات . فان الصلاة فتحت البطون العواقر التى لم تلد ، فانجبن أولاد الموعد ، اسحاق ويعقوب وصموئيل ويوحنا المعمدان ! وكانت هناك استجابة حرفية لصلاة الكنيسة المسيحية الأولى بلجاجة من أجل بطرس وهو نزيل السجن فى القيود ، فانفتحت الأبواب الحديدية المغلقة وهوت القيود الثقيلة أمام ملاك الرب ، وخرج بطرس عائدا لاحضـــان الكنيسة .

ولكن الله لم يستجب حرفيا لموسى ، ولبولس . فموسى كبير الأنبياء وصاحب الاشتراع ، يطلب بلجاجة أن يجتاز الأردن إلى كنعان الموعودة . ولكن ماذا يقول له الصوت الالهى ؟ " لا تعود تكلمنى فى هذا الأمر " . ومات موسى دون أن يفقد بصره ولازالت على وجهه نضارته ، ولكن بقى على ضفاف الأردن الشرقية لم يدخل راحة كنعان .

غير أن الانصاف الروحى العجيب حدث خارج الجسد ، وبعد أجيال طويلة ! فقد ظهر موسى مع ايليا إلى جوار الرب يسوع ، على قمة الجبل المقدس فى اليهودية ! وهكذا استجاب الله طلبه موسى بامتياز عجيب اختصه به وايليا النبى ، مع المسيح فى مجده متجليا ، وفى كنعان الأرضية مثال السماوية راحة المؤمنين إلى الأبد .

وكانت شوكة بولس فى جسده ، تضنيه وتعذبه ، ولم تفارقه وجاءه الصوت الالهى الصريح بأن ستبقى الشوكة ، كى يحمل فى جسده سمات الرب يسوع ! ثم جاء الانصاف لصلواته ، امتيازا روحيا غنيا ، فقد أعطاه الله قوة فاضت ، ونعمة تكفيه . لم يرفع عنه الشوكة من الجسد ، ولكن سكب عليه نعمة وقوة ليتزكى اناؤه المختار ، ويتألق مجده بين القديسين !

على أن أعمق استجابة روحية لصلاة كانت فى بستان الجثسمانى ، حيث يقول الكتاب عن رب المجد أنه سمع له من أجل تقواه . ارسل إليه ملاك من السماء يقويه ، ليشدد نفسه الحزينة ، وجسده الجاثى على الأرض القاتلة !

ليدوس آلامه ويشرب كأسه ويتذوق ألم الموت بالصليب موتا واحدا وصليبا واحدا . فيفتدى بهذا خطايا كل انسان ، عاملا الصلح عهدا أبديا بدم صليبه ، وليقوم فى الثالث ناقضا أوجاع الموت ، ليملك فى يمين العظمة ويجعل اعداءه تحت موطئ قدميه .

ختام الأمر كله ، ان الصلاة ، هى غريزة المسيحية الأولى. االألف والياء ، بداية ونهاية كل اصلاح وتجديد . وأى طريق سواها لا ينفع شيئا ، كمثل أطعمه لم ينتفع منها الذين تعاطوها . فلعل الضرر البالغ الذى نتعثر فيه بجهالتنا وفلسفتنا العالمية ، يدفعنا إلى طلب بركات الصلاة ونعمة الانصاف الالهى . فنحرس بهذا خيمتنا الأرضية ، نبنى أسوارنا ولا نكون بعد عارا .

الوثن الجديد

" احفظوا أنفسكم من الأصنام " (رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٢١)

الوصية الأولى العظمى فى الناموس صريحة ، " اسمع يا اسرائيل ، الرب الهك رب واحد ، لا تكن لك آلهة أخرى أمامى" . لتحبه من كل قوتك وقدرتك وفكرك ، حبا خالصا لا يشاركه فيه شريك ! ومن يحب في الوجود شيئا أكثر منه ومن يعبد سيدا آخر تحت الشمس ، فهو حتما ينفض الحروف الكبيرة للوصية الأولى . ولا تخفف من وطأته معاذير ، فاما أن يملك يسوع أو لا يملك ، وله وحده تسجد واياه وحده تعبد ، أو يمضى يسوع إلى قلب آخر يقبله !

والجيل الذى نعيش فيه ، يحب المال حبا يستحوذ عليه كل اهتمامه . ويتكل على المال بطريقة معقدة ، حتى يمكن القول بأن التفكير البشرى قد تحول بأسره نحو آلهة أخرى ، مرتفعة أصنامها من المذهب والنقد ! اهتمام واحد واضطراب كثير بسببه ، وانه لتفكير مشين يسئ إلى النعمة المسيحية.

وليس المال فى حد ذاته شرا ، فهو وسيلة للحياة البشرية. ولكن الوسيلة قد تتطور إلى غاية وهدف ، وحينئذ تتغير الأمور والعواقب . يحدث ارتداد مشين عن النعمة ، وتغيير شامل فى المبادئ والمثل ، وانحراف فى المعاشرات والأخلاق . ويكون ضلال عن ايمان الروح ، وأوجاع كثيرة ، فتور فى المحبة والعواطف الفاضلة ، ثم تجارب وفخ وشهوات مغرقة فى العطب والهلاك .

وقديما قلب المسيح موائد الصيارفة وتجار التقوى ، لأن بيت الله استحال إلى بيت تجارى للأموال . وقال الرسل ايضا انه ليس حسنا أن يخدم رجال الله موائد !

ومن هم الذين يترددون على الكنائس واجتماعات العبادة ويشتركون فى الصلوات والصدقات ويتقدمون إلى شركة جسد الرب ودمه ، ويشهدون ليسوع بدمائهم ؟ لا أرى بينهم أحدا من السادة المتكلين على أموالهم ، فانهم لا يشعرون بحب حقيقى لهذا المكان المقدس ، ولا يؤمنون بنظرية المجازاة المسيحية . لا يؤمنون بالكنز المحفوظ فى السموات ، ولا يعتقدون فى مسألة مرور الجمل من ثقب الابرة .

كان بين أتباع المسيح رجال ونساء من ذوى الأموال والثراء ، ولكنهم حينما واجهوا تعليمه الصريح " اذهب بع كل أموالك وأعط للفقراء وتعال اتبعنى " ألقوا أموالهم وباعوا أملاكهم بالاختيار والسرور . ألقوا أموالهم وباعوا أملاكهم حاسبين عاره غنى أفضل من كل خزائن المال ، عالمين أن لهم كنزا محفوظا لا يضمحل أو يتلاشى فى السموات ! وكان شعارهم " اننى سيد أموالى ، وليس المال سيدا لى . اننى أهب مالى لأجل المسيح . ولا أضحى الرب لأجل مالى" ! فباعوا كل شئ ، وألقوا أموالهم مشتركة تحت أقدام الرسل . هذا طراز من الرجال مثل برنابا ، ويوسف الذى من الرامة ، تلاميذ مخلصون لملكوت الله .

ومن الناحية الأخرى ، رجال ونساء كانت خسائرهم جسيمة. شاب يحفظ الوصايا منذ حداثته ، يخسر الملكوت وهو قريب منه ، ويمضى حزينا لأنه أحب

أمواله الكثيرة أكثر من المسيح . وفريسيون وكهنة أغنياء محبون للمال ، أفسدوا هيكل الرب ، عطلوا حياة الايمان وأكلوا بيوت الأرامل والمساكين ! وتلميذ باع سيده بالفضة ، بثمن عبد ، واخوة احتالوا على أخيهم البرئ ، وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضة !

وحنانيا وسفيرة كذبا على الروح القدس ، من أجل خداع المال وعدم استقامة الضمير ! وعاخان ابن كرمى جلب على اسرائيل العار والانكسار أمام قرية عاى الصغيرة ، لأن نفسه اشتاقت إلى الذهب والفضة والغنائم خلسة !

وفى هذه الأيام يقف الوثن الكبير ، محبة المال ، يتحدى كنيسة الرب فى عناد واصرار . يجرب ، ويعثر ولو المختارين أيضا ، كى يتلف الايمان ويبرد العاطفة ويفلس الضمير . يخلق الشهوات والفخوخ والارتداد ، وفى النهاية يحمل معه أوجاعا كثيرة لعابديه .

" أما أنا وبيتى فنعبد الرب إلى مدى الأيام " .

ذرة من الغضب الإلهى

"اذ رمد مدينتى سدوم وعمورة ، حكم عليهما بالانقلاب واضعا عبره للعتيدين أن يفجروا ".
(بطرس الثانية ٢ : ٦)

فى هذا الوقت العصيب ، حينما يسود البشر توتر وقلق وأضطراب ، ويطغى خوف عظيم. حين يفكر الناس فى الهلاك الفظيع الذى قد تتسبب عنه حرب أخرى بالذرة والصاروخ ، هذه الطاقة الهائلة التى قد تحمل من الدمار معها ما يكفى للقضاء على الحضارة الانسانية بأسرها وفناء الشعوب والأمم ، أقول . . فى هذه الأيام العصيبة ، قل وجود من يقلب فصول سفر التكوين التى خطت صفحات التاريخ البشرى الأولى ، ليطلع على صورة من الغضب والشدة والسخط حلت بقوم عصاة أثمة ، فأحالتهم وحضارتهم إلى الرماد والهشيم

وتلك كانت ذرة من الغضب الألهى ! !

وليت الذين يخافون غضب الإنسان ، يتأملون ولو لحظة واحدة فى غضب الله 'فان الحاجة الملحة اليوم هى أن نتعلم مخافة الله ، ونؤمن بالنار التى تأكل حينما يغضب 'مثلما حلت بسدوم وعمورة فى لمسة من الغضب الالهى .

وعالمنا بصورته الحاضرة يبدو أبشع بكثير من هيئته القديمة فى سدوم ! ويبدو لكل المسيحيين بوضوح ، من خلال السحب القاتمة والنيران الملتهبة بالكبريت التى غطت ذلك السهل والدائرة المحترقة قديما ، أن مصير العالم الحاضر

أشد هولا مما كان لسدوم وعمورة . فما أشبه الماضى بالحاضر ، وما أشبه الخاتمتين !

وقد يقول قائل ، ما لنا وهذا التاريخ الذى مضى إلى النسيان والقدم ؟ فأقول على الفور مع الرسول الحكيم' ان "كل ما كتب لتعليمنا " . فليس قديم ولا جديد ، بل هو تعليم واحد وهدف واحد .ولا تغيير فى أى أفكار الله أو ظل دوران فى مقاصده ، لكونه أزلى وأبدى فوق الأيام والسنين ، وأعظم من الأزمنة والدهور .ولنتعلم كقول للرب أن نفتش الكتب لأن لنا فيها حياة " فانه لا يمكن أن ينقص المكتوب " .

\+ \+ \+

كان ابراهيم بارا أمام الله فى أيامه ، وكذلك كان لوط . ووقف الرجلان على جبل إيل وقال أبراهيم لقريبه " هوذا كل الأرض أمامك " ، ليختار لوط أولا نصيبه فيها . وكان اختيار كل من الرجلين حاسما فى تاريخهما ، وفيه درس بليغ لما ترتب عليه من أمور على درجة كبيرة من الاهمية .

نظر أبراهيم إلى الشرق والغرب ، والسهل العظيم يمتد تحت قدميه ، ولكنه لم يكن ينظر بعينيه أو ببصره ومداركه . بل تطلع من بعيد إلى مواعيد الله ، وصدقها ، وآمن بها إيمانا مجيدا لا يحيد عنه . وبهذه الروح الطيبة العظيمة التى تنظر الروحيات وتجوز إلى ذات الله وأعماقه . اختار أن يعيش طوال أيامه متغربا فى الخيام ، مثل غريب ونزيل فى الأرض . فدعاه الله لوقته " أبا للايمان " لليهود والأمميين على السواء ، ممن يجيئون من المشارق والمغارب إلى أحضانه.

ونظر لوط أيضا ، ويا ليته ما نظر ! !

نظر بعينيه ، واشتهى بفكره وخياله . رأى السهل وحضارته . رجاله ونساءه ، مجتمعه ومدينته ، منازله وبهاءه وثراءه ومباهجه . وإذا ساد العيان ضعفت روح الايمان ! فاشتهى لوط سدوم ، وتاقت نفسه إلى عمورة . وضع فى قلبه أن يختار السكن والمعيشة بين أهلها ، فيبنى لنفسه بيتا له ولبنيه . وكان يحلم بالسعادة بين سكان تلك الجهة ، وبالغنى والثروة والبنين والرزق والاستقرار. ونسى كل شئ آخر ، نسى بره ، ونسى المواعيد لأنه قد أحب العالم الحاضر .

وهكذا افترق الرجلان ، واحد سلك بالايمان والآخر بالعيان. واحد أقرانه غريب فى الأرض والآخر أحب العالم والأشياء التى فى العالم . واحد طلب وطنا باقيا فى السمويات ، والآخر وجد فى سدوم وفى عمورة موطنه !

\+ + +

وانتقل أبراهيم من غربة إلى غربة ، من مجد إلى مجد ، من تطويب إلى تزكية ، ومن خفة ضيقة وقتية إلى ثقل مجد أبدى . ونال المواعيد العظمى والثمينة الواحد تلو الآخر ، حتى دعى لله خليلا .

ورأى ابراهيم يوم الله فى ضيافة رائعة ، ساعة غروب الشمس فى بلوطات ممرا ، حينما نزل الرب ضيفا عند أبراهيم وأعلن له سر التثليث . ورأى يوم يسوع المسيح فى الجسد ، فابتهجت نفسه وفرحت بتهليل ، وآمن بسر التقوى مقدما! وفى ذلك اليوم أيضا ، نال أبراهيم ميعاد أسحق أبن الموعد .

ومال الرب مع ابراهيم إلى الجبل ، يتحادثان فى محبة ، ودارت محاورة بين الرجل والهه كلها رقة ولطف . صارح الرب خليله بما فى قلبه " هل أخفى عن عبدى ما أنا فاعله"؟ فالله لا يخفى أسراره عن أحبائه ، وإذا أخفاها عن الحكماء والفهماء ، فقد أعلنها الجهال ، للأطفال والرضع . وكما قال السيد له المجد لتلاميذه يوما " لست أدعوكم بعد عبيدا بل أحباء . . . لأنى أعلمتكم بكل ما عند الآب " .

وحدث الرب ابراهيم عن سدوم وعمورة ، ان صراخها صعد اليه فمن هذه الحضارة القديمة أرتفعت خطايا شنيعة وآثام بشعة ، ورذيلة قبيحة وسفالة للإزدراء . يالعار الأرض التى تتجاهل صوت خطاياها ، وصراخ آثامها يصم آذان الملائكة والقديسين والأبرار فى السماء . نعم فان للخطايا صوتا بشعا فى آذان رب السموات ، صراخ ونحيب قبيح ضد ترتيلات الملائكة العذبة وأناشيد الأبرار !

وإذا علم سكان سدوم وعمورة بأن الذين يفعلون هذه القبائح يستوجبون الموت ، لم يفعلوها فقط بل سروا وفرحوا بالقبح الذى فعلوه ! ولما كانت الخطية خاطئة جدا ، وكان صداها كئيبا فى أسماع الله ، ولما كانت عدالته صفة أساسية من صفات ذاته ، فالرحمة لا تنفى العدل ، والمحبة لا تلغى القصاص ، لذلك نظر الرب وقال " انزل وأرى هل فعلوا بالتمام ، وإلا فاعلم".

+ + +

لا يتباطأ الرب كما يظن قوم التباطؤ ، بل هو يتأنى . ليس تعالى بشرا يفكر بمنطق البشر ، ولا يقيس بلغة الأيام والسنين ، لأنه ما التاريخ وهو صانعه ،

أو الدهور وهى عابرة كظل أمامه ؟ يوم عنده مثل ألف سنة ، وألف سنة مثل يوم واحد !

فليتهاون المتهاونون ممن يقولون " أين هو موعد مجيئه" ؟ أما نحن فلنحسب أناته ولطفه وامهاله خلاصا كقول الرسول . فانه يريد أن يقبل الجميع إلى التوبة ، وإلى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . وقد حتم بالأزمنة المواعيد كل شئ. أرسل الطوفان ، حين عصت الارض القديمة عصيانا لا شفاء منه إلا بالماء . وقال أنزل وأرى ، حينما ازدادت الأرض صراخا وعويلا بخطايا سدوم ومعاصى عمورة .

احتمل مقاومة الخطأة لنفسه أجيالا طويلة ، إلى أن أتت الساعة وحل ملء الزمان أخيرا ، فأرسل أبنه الحبيب لينزل ويرى ، ليصلب ويخلص .

فلا تضلوا ياأخوتى . . لا يتباطأ الله ، لا يهمل ولا يتغاضى عن الرذيلة . لا يحابى ، لأنه يوما ما لم يشفق على الأغصان الطبيعية ، على شعب اسرائيل البكر . فهوذا لطف الله وصرامته ، اللطف لك ان تثبت فى اللطف ، والصرامة للمعصية ولا شفقة . وحين توضع الفأس على أصل الشجرة ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار .

وأعود إلى لوط وعائلته . . أصبحت حياته وسط سدوم درسا بالغ الأهمية ، وتعليما صريحا لنا بالتحفظ لأنفسنا من العالم ومن الأمور التى فى العالم . كان هذا

البار يعذب نفسه البارة يوما فيوما بالنظر السمع وهو ساكن بينهم ، بأفعالهم الأثيمة " مغلوبا من سيرة الأردياء فى الدعارة " .

وعذاب النفس البارة بأفعال أثيمة ، وهزيمتها بالسير الرديئة ، كانا حصاد لوط الوحيد ، فى سدوم ! وهذه هى النتيجة المحتومة للذين يحبون العالم ويؤمنون بمبادئه . أيها العزيز لقد قالها القدماء كلمة صريحة " المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة " ، وأن الخميرة الفاسدة الصغيرة ، تفسد العجين كله .

ومحنة الكنيسة اليوم واضحة و حيثما تكون أية محاولة فاشلة للتحالف بين كنيسة المسيح وعالم موضوع فى الشرير ! محاولة للتوفيق والانسجام بين القلب والرب ، بين الجسد والروح ، الايمان والعيان ! لا يستطيع أحد أن يعبد الهين . أو يعيش بقلبين ، أو يسلك فى طريقين . فلتجمع اذن أو تفرق ، تكون مع المسيح أوعليه تختار كنعان أو سدوم ، تبقى إلى جوار بولس الرسول أو تمضى مع ديماس " الذى أحب العالم الحاضر " ، مغلوبا على أمره .

+ + +

ودارت مناقشة بين ابراهيم البار وضيفه الالهى ، لها أهمية قصوى ، فانها تكشف لنا بجلاء عن أمور تخص ذات الله وطبيعته وصفاته ، وما أحوجنا اليوم إلى قليل من هذا الفهم !

كان الله يتحدث مع مضيفه الشيخ البار ، وفى صداقة وتآلف عبر ابراهيم عما فى قلبه من رجاء . وبنفس هذه الروح المتواضعة التى تشير أعظم درجات

الأعجاب والحب والولاء فى نفسى ، كان الضيف الالهى ذو الجلال يجاوب خليله الحبيب .

تكلم ابراهيم وفى وجهه لهفة وفى قلبه أسى وخوف ، إذ رأى علامات الغضب تبدو بوضوح فوق سدوم وعمورة وسائر مدن السهل الخاطئة . وكان يذكر لوط واسرته واصهاره هناك' فاعتصر الحب قلبه وملأته الشفقة فقال الرب " حاشاك يارب ، أفتأخذ البار مع الأثيم " ؟

وحاشا أن يكون الله ظالما ، فأنه لا يأخذ البار مع الأثيم بل كل واحد سيحمل حمل نفسه ولا محاباة ، وليس هناك مخلوقا يدان باثم أبيه وأمه . ولا يحتسب الله ذنوب الآباء فى الأبناء إلا أولئك الذين يبغضونه ، حيث الشجرة الردية لا تعطى إلا ثمرا رديئا ، وحيث افتقاد ذنوب الأشرار إلى الجيل الثالث والرابع . وحوار الرب مع ابراهيم يثبت صحة هذا التعليم ، فلم يبدر فى فكر الله لحظة واحدة أن يأخذ لوطا بالغضب الذى كان عتيدا أن يحل على الاثمة ، مع كون لوط قد أصبح مغلوبا على أمره من سيرة الأردياء .

وتشفع ابراهيم الطيب القلب عن سدوم وعمورة ، ليمنع قصاصا من الوقوع ويحجز الكارثة ، وكان يحاول أن يقنع الله بمنطق سائر البشر ! ! ولكنها المعصية التى استفحلت ، والخطيئة التى ازدادت وسادت ، قبيحة للغاية ، خاطئة للغاية ومدانة للغاية أيضا . فعدالته فى رحمته وقصاصه فى محبته!

لم يوجد أربعون بارا لأجل خلاصك يا سدوم ، أو نجاتك يا عمورة ! ولا ثلاثون أو عشرون ، أو حتى عشرة ! ولو تجاسر ابراهيم أكثر وقال " اتهلك

يارب لو وجد خمسة من الأبرار " ؟ فقال الرب " لا أهلك من أجل الخمسة " . وأسفاه سهل عظيم بأسره ومدن عظمى ، لم تكن فيها هذه القلة من الأبرار يشفعون للنجاة ! !

وقد كان لهذه المحاورة معنى أيضا ، فواضح منها أن شفاعة أولاد الله مقتدرة فى فعلها ، وان صلواتهم تستر كثرة من الخطايا . وليت أهل العالم يدركون قيمة أمثال أولئك الابرار الخمسة أو العشرة ، الأقلية الضئيلة التى أبقاها الله لنفسه ، أمينة له فى شهادتها وفى طهارتها ، لا تحنى أرجلها للبعل أو تجثو إلا ليسوع وحد ربا . فانه من أجل مثل أولئك الله يرحم ومن أجلهم تطول اناته فيحتمل مقاومة لنفسه بهذا القدر ، من عالم موضوع فى الشرير سائر وراء الهة أخرى غريبة .

هؤلاء هم نور العالم ، هم ملح الأرض ! فاذا لم يوجد ذلك النور وإذا فسد هذا الملح ، فحينئذ مبتدأ الويلات والأوجاع ، حين تكون حالة سدوم وعمورة أكثر احتمالا ! !

+ + +

وينتقل المشهد بسرعة خاطفة من بلوطات ممرا ، إلى سدوم . كان لوط جالسا على عتبة البيت حينما وقف به الملاكان ، وأنصت فى ذهول وصمت إلى الانذار الالهى الصريح وبدون مقدمات " قم كلم بناتك وأصهارك . . أننا مهلكان هذا المكان . . أهرب لحياتك " واجتاز لوط عتبة داره مهرولا مضطربا ، بأفكار كثيرة فى ذهنه ، وكلم بناته وأصهاره أن يخرجوا معه فى المكان . فكان " كمازح فى عين أصهاره " !

ياللجهالة . . ألعل الله انسانا فيمزح ؟ الويل لقوم يظنون الله مازحا ، والمجتمع لا يؤمن بالله ، وبكلمته ! والويل لعالم مغرور مرتد لا يؤمن بالمجازاة والدينونة والقصاص ، أعماه سباته العميق عن أن ينظر سحائب الغضب تتجمع فى سمائه ! فلا تنعس يا عزيزى والوقت يدعى نهار ، ولا تمزح وتتوانى فالأيام شريرة ، وزوال السموات والأرض أيسر من سقوط حرف واحد من عبارات الله .

وبانتهاء هذه الليلة المضطربة لاح الفجر ! وبينما الملاكان يعجلان لوطا بالخروج لأجل حياته ، كان الشعب الواقف بالباب يتمادى فى لبفجور والنجاسة ! بل أن لوطا نفسه ، يذكر عنه كاتب سفر التكوين أنه " توانى " ! كيف يترك كفاح العمر وثمر الرجولة وآمال الجسد ، بيوته وأمواله أراضيه ومواشيه ، أصحابه وفردوسه الصغير ، ويمضى صفر اليدين إلى مستقبل مجهول ؟ فأمسك الملاكان بيده " لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة . . ولما اشرقت الشمس أمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا ، من عند الرب فى السماء"

وكما كتب القديس بطرس ، ان الرب عندما رمد سدوم وعمورة قد وضع عبرة للعتيدين أن يفجروا .

اذن من له اذنان للسمع فليسمع .

الوقت المقبول

" الرب قريب "　　　　　(فيلبى ٤ : ٥)

الدعوة العليا هى الآن ، وبشرى الخلاص اليوم ، ولا مكان للغد فى المدعوة الالهية . الحياة ظل عابر ، بخار يضمحل ويتلاشى ، أو هى من خيوط العنكبوت .

الحياة هى الساعة ، هى الان ، هى اليوم . والصوت الرقيق يهمس فى أذنيك بأنواع وطرق كثيرة ، فى هذه الساعة الهادئة . والضيف الالهى المتواضع يجتاز عتبات بيتك ، ويقرع بابك مبشرا بالسلام والخيرات العتيدة .

اليوم عند مغيب الشمس ، ووقت العشاء ، وفى هزيع الليل ، ووقت صياح الديك !

ودعوته هى بلا ندامة ، فلا ترفضها أيها القلب الكسير . لاتتوانى ، بل قم واذهب الآن إلى سلوام لتغتسل . ثق ، قم هو يناديك لتبصر . لا تعاند الرؤيا السماوية ولا تستشر لحما ولا دما ، فاليوم خلاص عظيم مجيد يغزو قلبك ويأسر فكرك.

اليوم ! ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم ، كما فى الاسخاط يوم التجربة فى القفر ، حين جربه آباء اليهود واختبروه أربعين سنة واحزنوه ، فسقطت جثثهم فى القفر ولم يدخلوا إلى راحته .

لا تقل مع فيليكس الوالى ، وهو مرتعب من كلمة الايمان والتعفف والحياة الأبدية من بولس الرسول ، " اذهب الآن ومتى حصلت على وقت استدعيك " . واسفاه ! فانه لم يحصل على وقت آخر ! أضاع كلمة الحياة والخلود ، وهى قريبة منه فى فمه وفى قلبه ، توانى وجرفه تيار الحياة بمتاعبها وهمومها وملذاتها ، فلم يجد غدا ، وخسر نفسه !

ولا تقل مع الغنى أن أمامى خيرات كثيرة لسنوات كثيرة فرح وسرور وشبع وغنى ! فالموت الخاطف كان أسرع إليه من أفكاره ، حين جاءته العبارة التى لا رجوع فيها " الليلة تطلب نفسك . . فهذه كلها التى اعددتها لمن تكون ؟ "

وقد تطلبه يوما ، بدموع ، فلا تجده ! وزيت النعمة قد يفرغ من مصباح العبد الجاهل القائل "سيدى يبطئ قدومه"! إذ يكون قد اجتاز ومضى ، جاء العريس وأغلق الباب " .

بل اليوم نقول مع الرسول بفرح " هوذا الآن وقت مقبول' هوذا الآن يوم خلاص " آمين .

فهرست

رقم الإيداع : ٢٨٢٣ / ٢٠١١

المطبعـــــة : مطابع النوبــار

٢٥٩٠٢٤٤٠

يوزع مجاناً



يطلب من جمعية الرابطة المرقس
بالإسكندرية